رواية

حياة روح

(حي الأشجار)

عائشه عماره

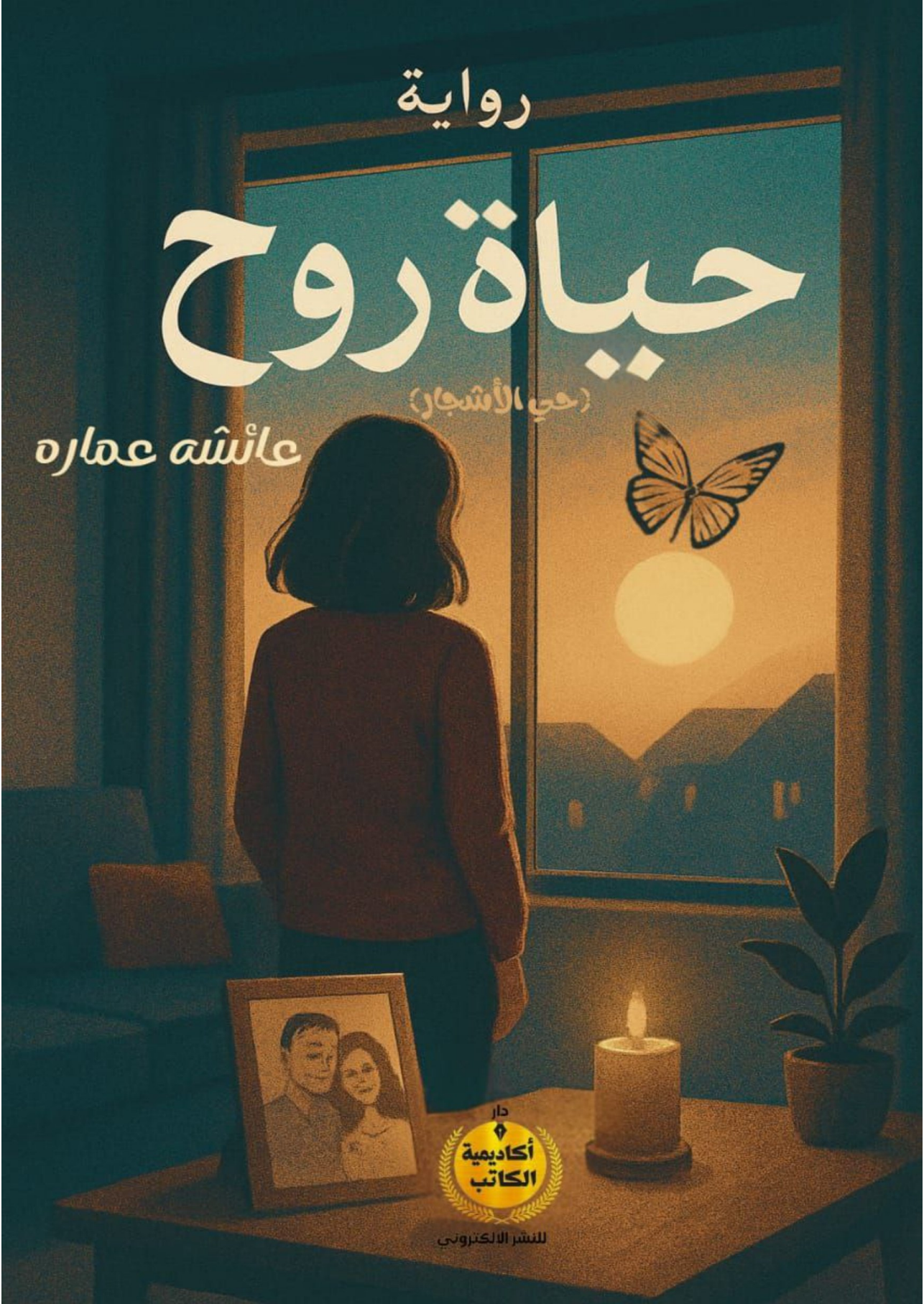

دار
أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني

حياة روح

رواية

عائشة عمارة

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: حياة روح

المؤلف: عائشة عمارة

تصنيف الكتاب: رواية

تدقيق لغوي: محمد حسن

المقاس ١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 250829-01-03

التليفون : ٠١٠٩٧٤٤٣٧٠٠ –٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

الى رفيق حياتي

أحمد عز ..... دمت عزي و عزوتي.

أساتذتي وأصدقائي

الكاتب محمود كمال

الكاتب محمد حسن

شكراً على الثقة و الدعم و أنكم استحملتوني.

ولكل أصدقائي في رحلة الكتابة..

دمتم خير صحبة ... أنها

البداية

الفصل الأول

(لكل شيء بداية)

في منزلٍ تضجّ به الحياة، تشعر منذ دخولك من بوابته أن كل تفصيلة في البيت بها روحٌ من روح وطفليها، الذين يظن من يراهما مع روح أنها شقيقتهما الكبرى، ليس لفارق السن الصغير، فهي تبلغ الثلاثين وأطفالها.. عمر صاحب الأربع سنوات، وسلمى صاحبة الست سنوات، والتي أسمتهم على أسماء الفيلم الشهير (عمر وسلمى).

إلا أنها اختارت أن تناديهما (تيمون وبومبا) أو (بكيزة وزغلول)، أيّهما يختار لسانها أن يناديهما به. وبسبب نقارهم –جميعًا- الدائم في اللعب والطعام، خاصةً الحلويات، لا يتوقع أحدٌ أبدًا أنها أمهم.

وكذلك سيف صاحب الأربعة والثلاثين عامًا، لا يميّزه عنهم سوى طول قامته وملامحه التي تحددها لحيته؛ لتضفي عليه بعض الشعيرات البيضاء المزيد من الوقار، إلا أنه بمجرد دخوله المنزل يتحول للطفل الرابع به؛ تراه يلعب، ويَلهو، ويتشاجر مثلهم تمامًا.

في أحد الأيام، كانت روح تعيش على السوشيال ميديا كعادتها، فوجدت ترينداً جديدًا يحدث بين الأزواج والمرتبطين وحتى الأصدقاء، يسمى

"We listen and we don't judge"؛

فدخلت على سيف بابتسامتها الطفولية، وجسمها النحيف، وقِصَر قامتها التي تزيد من طفوليتها غرفة نومهما وهو يستعد للذهاب إلى عمله، الذي اعتادت روح أن تؤخّره عنه بصفة يومية بسبب كلامها ومزاحها المتواصل، ركضت نحوه وقفزت لتتعلّق برقبته كعادتها، نظر لها وهو يلتقطها بحب، فقالت له بدلالها الخاص:

-عندي لعبة جديدة نلعبها مع بعض لمدة أسبوع.

ليرد بنظرة مليئة بالحنان، ولكن بصوت يحمل سخرية:

-أسبوع إيه؟ أنتِ فاضية ولا مش عندِك بيت وعيال؟ روحي العبي مع عيالك أحسن، قال ألعب أسبوع قال!

نظرت له بغضب، يكسوه طابع طفولي، وقالت بصوت حزين محاولة استعطافه:

-الله! مش أنت جوزي؟ ألعب مع مين؟ أجيب حد من برّا ألعب معاه يعني؟ وبعدين مش أنت ابني البِكري؟ يبقى ألعب معاك أحسن، ما أنت عيّل من عيالي.

أنهت جملتها بضحكة بريئة وهي تتعلّق بيدها في رقبته، لتعلو ضحكته ويسألها باستسلام:

-قولي يا ماما، هنلعب إيه لمدة أسبوع؟

-اتريق.. اتريق! بص، في ترينِد جديد موجود على السوشيال ميديا، اسمه "We listen and we don't judge"، يعني هنعترف لبعض بحاجات محدش يعرفها عن التاني، حاجات حصلت معاه زمان أو دلوقتي، والتاني هيسمع، وممنوع يعلّق عليها بحلو أو وحش خاااالص.

-يعني أنتِ بقالك تقريبًا ١٠ سنين معايا، من ساعة ما عرفتكِ لحد ما جبنا العيال اللي جوا دول، وفي حاجة في حياتي أنتِ متعرفيهاش؟

اعتدلت في وقفتها لتتحدث بجدية أكثر؛ فأصبحت مدعاة للضحك أكثر منها للانتباه، وقالت:

-مش شرط تكون حاجات حصلت وأنا معاك، ممكن تحكي مواقف قديمة، وأنا كمان هحكي مواقف قديمة أو جديدة مخبياها عنك مثلًا (ثم غمزت بعينها لتحاول استثارة مشاعره للعبة)، ويبقى دا الشرط اللي هنلعب بيه. اتفقنا؟

ليمسك بها بيد واحدة، معلّقًا إياها بعيدًا عن الأرض، ويقول بعصبية مفتعلة:

-هو في حاجة حصلت من ورايا وأنتِ بتخبي عليّا؟! الله الله، يومك مش معدي يا أوزعة إلا لما تعترفي!

-شوفت بقى؟ وأنا مش هعترف إلا جوا اللعبة، هه!

ثم عقدت يدها حول رقبته مرة أخرى فأنزلها إلى الأرض، وردّ عليها بنفاذ صبر:

-اتفقنا يا آخِرَة صبري، هنبدأ امتى؟

-بالليل، قبل ما ننام. كل يوم، كل واحد فينا هيحكي موقف.

-اطلعي برّا بقى، شوفي اللي وراكي، علشان ألحق أنزل أروح الشغل.

-هههههه، انت لسه فاكر الشغل؟ هههههههه!

طبعت قبلة على خدّه، وخرجت من الغرفة وهي تجري، وتفكر فيما ستحكي الليلة. كانت تظن أن اللعبة أسهل من ذلك في البداية، لكن من الواضح أن الأمر سيزداد صعوبة كل يوم عن اليوم الذي سبقه. ولم تدرك ذلك إلا بعد أن اتفقت. ولو حاولت التراجع الآن، فسيشك بها سيف أنها تخفي عنه شيئًا، وسيزداد عنادًا لمعرفة الحقيقة.

قالت بنفاذ صبر:

-ايه الورطة اللي حطيت نفسي فيها دي؟! يلا مش مهم، المهم هعرف هو مخبّي عليا ايه!

ثم أكملت إعداد الفطار لأطفالها بمرح معهم في المطبخ، بينما نزل سيف متجهًا إلى عمله بعد أن ودّعهم بقبلاته، ووعد بالتموين اليومي من الحلوى والكثير من الطلبات.

على الجانب الآخر، كان سيف لا يشغل باله باللعبة بقدر محاولته إرضاء روح، لعلمه بمدى التعب والحزن اللذيْن مرّت بهما قبل زواجهما منذ طفولتها.

كما أنه أدرك أنه سيتعلّم الكثير عنها من خلال لعبتها تلك، لكنه كان يخشى أن تسوء حالتها النفسية مرة أخرى، لأنها هذه المرة ستغوص بيدها في عالم حاولت محوه من ذاكرتها كثيرًا. حتى لو لم يدركه سيف بالكامل، لكنه توقف مرة واحدة في منتصف الطريق، وضحك بصوت مسموع، وقال بينه وبين نفسه:

-شكلك هيبقى فقرة وأنتِ بتسمعي حوار نور بنت خالتي النهاردة! أهو نبدأ ضحك، كده كده النكد جاي.

ثم أكمل طريقه، ووصل إلى مكتب الدعاية والإعلان الخاص به. كان كما يقولون في ذلك المجال، "صنايعي، مش بتاع مكاتب".

وهذه الحقيقة هي التي ثبتته في مجاله، وجعلت له اسمًا ذا صيت واسع، فاستطاع في وقت قصير أن يكون مسؤولًا عن عدد من المدارس والمعارض الكبرى في مصر، وكذلك يعمل معه عدد من العمال لا بأس به. حاول إنهاء عمله مسرعًا، وتوجّه إلى محل البقالة الشهير بالحي ليشتري طلبات البيت كما أرسلتها روح في الرسالة اليومية، وليأتي بمخزون يكفي أربعتهم من الحلوى، وليبدأ أول أيام اللعبة.

الفصل الثاني

بعد أن نزل سيف متوجهًا إلى العمل، وذهب الأطفال إلى المدرسة، بدأت روح روتينها اليومي من المهام المنزلية، ثم أمسكت كشكولها الخاص وبدأت في تدوين خواطرها اليومية ويومياتها لتفرغ ما بداخلها، كما نصحتها طبيبتها النفسية، بجانب التزامها بالدواء الخاص بحالة اضطراب ما بعد الصدمة.

فما تعرضت له في حياتها من أصدقائها السابقين -إن صح قول ذلك عنهم- لم يكن سهلًا، لكنها مستمرة في الكتابة حتى الآن عن حياتها الحالية، ما يضغط عليها، موقف يحزنها، أو حتى يفرحها.

أحبت الكتابة؛ وجدت بها الصديق الذي يسمع ولا يمل، ولا يخون؛ وهو الأهم بالنسبة لها.

بدأت في الكتابة بحماس عن اللعبة التي ستبدأ الليلة، قائلة:

"والله سيف دا رحمة ربنا ليا، مستحمل جناني. أي حاجة بطلبها أو بعملها، وافق على اللعبة لمجرد إنه يرضيني. بحبك أوي يااااض، هههههههههه.

مش عارفة أبدأ النهارده بإيه؟ أحكي ايه ولا ايه؟

هو فاكر أنه عارف كل أسراري، بس هو ميعرفش إلا اللي خليته يعرفه، سواء مني أو من ورايا.

بس أنا عاوزة أقوله على حاجات خفيت منها خلاص، علشان أحس بجد إني ارتحت، والهم بتاع الأسرار دي وقع من قلبي وعقلي.

علشان أقدر أنسى، بدل خوف إني أتعَب تاني أو إنه يعرف حاجة فجأة.

أنا تعبت من التعب، آآآه...".

لم تُكمل تدوينها حتى وجدت هاتفها يدق نغمته التقليدية، لتجد رقمًا طالما حفظته كي لا تجيب عنه أبدًا. لم تُسجله لكرهها للاسم، برغم كونه ملاصقًا لاسمها، إلا أنها لا تريد أن يتعلق بهاتفها أيضًا.

يكفي ما عانته منه في حياتها معه قبل زواجها، وما فعله بأمها قبل وفاتها.

كم هو أناني وقاسي القلب، لم يحبها هي أو والدتها كما ادعى.

فهو من أضاع أمواله وحياته على نفسه وشهواته، غير عابئ بمن هم مسؤولون منه، كما ترك أختها الكبيرة تعاني من زواج فاشل، فقط لأن الزوج ابن أخته المرحومة، حتى قتلها جوعًا كعقاب لها على عدم إنجابها.

فبدلًا من الذهاب إلى الطبيب، ظن أنها هي من تمانع، فقرر العقاب.

حبسها في غرفتهما لأيام، فلم تتحمل، وفارقت الحياة لراحة لم تحصل عليها مسبقًا قط.

تشاركت روح وأختها طفولة عنيفة، تفتقر حتى لأدنى حقوق الأبوة. وصلت أختها للراحة، ثم لحقت بها والدتهما، ليتركا "روح" أمانة لدى سيف، الذي جاهد ليُبعد ذاكرتها عن كل ما مضى، حتى أنه قطع علاقتها بكل ما قد يصلها أو يذكرها بالماضي، وذهب بها إلى طبيبة نفسية لمعرفة الحل.

كل ذلك وهي لا تعلم لماذا يفعل كل هذا؟

لماذا قرر أن يدخل معها حربًا لا ناقة له فيها ولا جمل؟

أهو يحبها حقًا لهذه الدرجة؟ ولماذا؟

هي حتى الآن لا تعلم السبب، أو غير مقتنعة، لكنها تشعر يومًا بعد يوم أنها معه تولد من جديد، وتزداد كل يوم تعلقًا به، حتى تحول إلى كونه محور حياتها بالكامل.

تجد بين يديه شعورًا لم تجده يومًا، حتى أسمته بـ"بيتها"، فأصبحت حين تشتاق لحضنه تقول له:

"بيتي واحشني... عاوزة أنام."

فلا تجد منه ردًا سوى فتح ذراعيه، مُعلنًا عن حضنه المستعد لاستقبالها، فتُلقي بنفسها فيه وتغوص في نومها العميق في أقل من ثلاث دقائق، على عكس طبيعتها التي لا تنام بسهولة، بل تظل ليومين متواصلين مستيقظة، تُحارب عقلها طلبًا للنوم، لتسقط في النهاية بفعل المنوِّم المكتوب لها.

ظلت عالقة بشاشة هاتفها الذي يواصل الرنين حتى انطفأت، فقررت أن تذهب لقراءة وردها اليومي، ثم أكملت الرواية التي تقرأ فيها منذ يومين بنهم، برغم أنها تتجاوز الـ ٦٠٠ صفحة، فها هي تسرح فيها بعيداً عن ذلك المتصل وتغوص فيما تقرأ، لتُعلن نهايتها مع دق جرس باب الشقة.. تستفيق، وتنظر للساعة، ها هي وصلت للواحدة ظهرًا، مُعلنة عن موعد وصول الصغيرين.

استقبلتهما بترحاب وحضن مليء بالحنان والحب، وأنهت معهما واجباتهما المدرسية واللعب، وحان موعد نومهما، فغاصا في حضنها مثل كل ليلة، يحلمان بكل خير مثلما تتمنى.

الآن الساعة العاشرة مساءً، باب الشقة يُفتح، ويدخل منه سيف، المُحمّل بالحلوى والطلبات.

يجد روح واقفة أمام الباب، تسحب حقيبة الحلوى وتجري بها داخل غرفتهما وتغلق الباب.

يجلس سيف بجوار باب الشقة ضاحكًا مناديًا:

-الشنطة مافيهاش كل حاجة على فكرة، براحتك.

-هو في تاني؟

-الباقي بتاعي، خلاص.. حلال عليكي اللي خطفتيه.

-لأ لأ، خلاص.

ليجدها تفتح الباب، وتخرج فاتحة قطعة شوكولاتة بيدها، وبفمها قطعة، وبيدها الأخرى ممسكة بحقيبة الحلوى، وتذهب لتجلس على قدميه كطفلة تحاول استعطاف أبيها، قائلة بصوت طفولي:

ـ أنا آسفة خلاص بقى.

ـ انسي.. مش أنتِ عاوزة دول؟ خلاص، الباقي بتاعي.

ـ مش هَهون عليك، ها؟

وأنزلت عينيها لأسفل، عاقدة يدها حول عنقه، ليرد عليها بقبلة حانية على جبهتها، ويقول:

ـ وسّعي بقى، ناكل الأول ونشرب القهوة، ونشوف بعدين جايبلك إيه، ماشي؟

ـ وبعد كدا نلعب!

قالتها بعين تلمع، أجبرته على أن يبتسم، وأشار برأسه موافقًا.

الفصل الثالث

(لا أحد ينسى... جميعًا نتناسى)

تعمد سيف التظاهر بالنوم وهو يكتم ضحكاته من الحالة التي ظلّت فيها روح طوال الليل؛ فهي لم تنم، بل ظلت تتقلب في انزعاج شديد بعدما أخبرها سيف أن نور ابنة خالته كانت تحبه لحد الجنون، وأن والدته كانت تخطط مع خالته لزواجهما، لكن ظهورها في حياته ووقوعه في حبها هو ما أفسد عليهما الخطة.

تحرك سيف وهو يرسم على وجهه قناع من استيقظ للتو، متفاجئًا من استيقاظها قائلًا:

- صباح الخير يا حبيبتي، صاحيه بدري أوي كدا ليه؟

لتجيبه وهي تجز على أسنانها:

- مش لو كنت نمت أصلًا.

حاول كتم ضحكاته لكنه لم يستطع لتتعالى قهقهته، لتقوم بإلقاء الوسادة في وجهه، وتخرج وهي تدبدب بقدميها متجهة لإعداد الفطور، وسيف يكمل ضحكاته متجهًا إلى الحمام للاستعداد للعمل.

ظل وجهه روح متقلب حتى صاح فيها بصوت مرتفع:

- مش أنتِ اللي قولتِ منتضايقش، وبعدين هو أنا نطقت على أستاذ رامي اللي بعتلك "أنا لسة بحبك"؟

وأكمل بغمزة عين مصحوبة بقبلة في الهواء:

-علشان أنا عارف مراتي حبيبتي مسحت بيه الأرض، وأنا واثق فيك يا صاحبي.. محدش هيعرف يجننك غيري.

وأكمل ضحكه وهو يغلق باب الشقة متجهًا لعمله، تاركًا روح بين ضحكة خجل وغيظ يأكل قلبها.

قامت روح بتوصيل طفليها لحافلة المدرسة، لتجد هاتفها يرن مرة أخرى، ها هو مجددًا يحاول الوصول لها، حاولت ألّا ترد لكنها وجدته أمامها، أمام باب العقار في الجهة المقابلة لها، واقف في حالة من الهدوء الحذر لا يعلم كيف سيقف أمامها بعد كل ما فعل، بل ماذا سيقول لها من الأساس.

ظلت عيناها ثابتة كمن رأى شبحًا، أو هكذا تمنت.. عبَر لها الطريق وأصبح يفصلهما سنتيمترات معدودة، إنه حقيقي للأسف، باغتها قائلاً:

- جيت أطمئن عليكِ.

لترد ببرود قاتل نابع من داخلها حقاً:

- واتطمنت؟ الحمد لله.. مع السلامة.

واستدارت قبل أن ينطق بحرف آخر قد يزيد من مدة اللقاء الذي تمنت لو لم يحدث من الأساس، لم تلتفت خلفها، هربت لشقتها وأغلقت الباب بكل المفاتيح والأقفال؛ كما لو أنها هربت منه، وتخشى أن يقتحم عليها عشها الآمن، تأكدت ألّا فرصة لدخوله بيتها أو حياتها مرة أخرى، لم تشعر بنفسها وهي تسقط على الأرض باكية غائبة عن الوعي، نائمة، ترى أمام عينيها شريطًا طويلًا من الضرب والإهانة والوجع، لتستسلم بعده لنوم قصير من كثرة الدموع والألم.

أفاقت على رنين هاتفها بالنغمة الخاصة بسيف، التي اختارتها بعناية، وكانت مقطع من أغنية (أنا بعشقه) -للمطربة شاهيناز-، التقطت الهاتف بروح متعبة، ظهرت في صوتها وهي تجاهد لتقول:

- حبيبي.

فزع سيف من صوتها، فقال متلهفًا:

- روح! في إيه مالك؟

حاولت تمالك نفسها، واستجماع قوتها، وردّت بصوت أكثر وضوحًا:

- مفيش حاجة.. كنت نايمة بس.

ثم أضافت لتشعره بأنها أفضل حالًا:

-خير؟! نور هانم كلّمتك ولا رايح تتجوزها؟

زفر توتره، وقال ضاحكًا:

- كدا أنتِ زي الفل، لا مش هتجوزها، ما هو اللي يجرب مرة يبقى مجنون لو جرب تاني.

وأكمل ضاحكًا:

- أنا بس كنت عاوز أقولك لما آجي تكونوا جاهزين علشان هنتغدى برا النهاردة.

قالت وهي تبتسم:

- عاوز تكفّر عن جوازتك التانية؟

ليرد وهو يكمل الضحك:

- مش أحسن ما أتجوز وأنت لاوي بوزك عليا يا زميلي، يلّا سلام.. عندي شغل مش فاضي للرغي.. باااااي.

وأغلق الخط وهو مبتسم ليجد كريم شريكه في المكتب ينظر له بتعجب قائلًا:

- الوحيد اللي شوفته متجوز وبيضحك.

ليرد سيف بكل صدق:

- اللي يتجوز أقرب حد ليه وأكتر حد فاهمه وبيحبه بجد هتلاقيه على طول بيضحك حتى لو عاملين مشاكل الدنيا، ويلّا ركز في شغلك خلينا نخلص النهاردة، مش عاوزين نسمع كلمتين من العميل.

حاولت روح استجماع نفسها بعد مكالمة سيف، ونهضت من الأرض وقررت أخذ حمام دافئ يساعدها على الراحة، وبمجرد خروجها أمسكت هاتفها واتصلت عليه ليجيب من أول رنه بصوت ملهوف، كان متوقع اتصالها ومنتظره.

فقال

- كنت عاوز.....

قاطعته بحدة وهي تدرك تماماً ما تود قوله:

- مش عاوزاك في حياتي تاني، مش عاوزة أشوفك لو صدفة، ورقمك هعمله حظر.. سلام.

وأغلقت الخط دون انتظار سماع أي رد قد يزيد من وجع قلبها، وقامت بحظر رقمه، وعمل كوب قهوة لعلّه يعيد تركيزها لحياتها من جديد بعيدًا عنه.

الفصل الرابع

عادوا الي المنزل في سعادة وضحك أنساها ما مرت به صباحًا، ذهبت هي لتبدل ملابس عمر وسلمى، بينما ذهب سيف لغرفتهما لتبديل ملابسه، لكنه وجد دفتر مذكرات روح أمامه.

هو يعلم أن طبيبتها أخبرتها أن تدوّن ما تشعر به، لكنه لم يطلب منها ولو مرة أن يقرأه، أراد أن يُشعرها أن تلك هي مساحتها الخاصة والآمنة؛ لتتجرد فيها من كل ذكرياتها التي تحملها كعبء، أو كجرح يرفض أن يلتأم مهما حاول وحاولت هي أيضًا.

لكن الدفتر كان مفتوحًا على أولى صفحاته، فخطفت أولى كلماته عينيه، أمسكه وقرأ:

"في القلب غصة اعتادها، تؤلم في كل مرة كأنها أول مرة تزوره، تظل عالقة في العقل تأبى أن تفوته، كمن يريد تذكيرك بأمر حاولت محوه ونسيانه، تبلغك في كل مرة أنها هنا معك، لا مجال لك لتتجنبها، تأتي كل مرة بوجعها كأنها الأولى ولا تدرك متى ستكون الأخيرة".

شعر سيف بتلك الغصة في قلبه من صدق ما كتبتْ، أراد أن يضمها في حضنه لتشعر بالأمان، بالحب الذي يكنه لها، أراد أن يقول لها أن جروحها تلك تبكيه، تشعره بضعفه كونه لا يستطيع علاجها.

سمع صوتها تصرخ و تضحك وخطواتها تعلن أنها تجري خلف عمر، ترك الدفتر مكانه وخرج يلعب معهم وصاح قائلًا بصوت يحاول الضحك"

-بتصرخي ليه؟ عمر اجري بسرعة.

نظرت له وجدته يحمل سلمى على يده و يضحك معها، فقالت وهي تلهث:

- أيوا أنت تدلع وأنا أصوت.

ليرد بملامح تملؤها الحنان:

- قسمة العدل، ولا أقولك.
أنزل سلمى من يديه وانطلق نحوها محاولاً استفزازها، ونجح ليتحول جريها خلف عمر لسيف الذي انتهى بضحك الأطفال عليهم.

بعد أن تأكدا أن عمر وسلمى خلدا للنوم، جلست سلمى متحفزة لسيف ليبدآ اللعبة، فقال سيف باقتضاب:

- محرمتيش يعني بعد حوار نور، كدا مش هتنامي تاني أسبوع. (وأكمل ضاحكًا).. هتتجنني اكتر ما أنتِ مجنونة يا قلبي.

أجابته وهي تنظر له بتحدٍ:

- دا أنت طلعت مخبي عليا بلاوي، أنا هخلّي اللعبة شهر لحد ما أعرف كل حاجة.

- ما أنتِ عارفة كل حاجة، وبعدين خلاص الطوبة جت في المعطوبة واتجوزنا، فارق معاكي اللي فات ليه؟

- أنا معطوبة؟! دي آخرتها؟!

- حاشا لله يا قلبي.. أنتِ الطوبة اللي فتحت دماغي وعقلي.

- بتثبتني؟! مااااشي، بس بردو عاوزة أعرف مخبي عليا إيه تاني؟

قال لها وهو يعتدل في جلسته ويبدو عليه الجدية:

- ما ترجعي تكتبي على صفحتك تاني.. وهاتي كتب واقري وفكك من اللي فات كله ونبدأ من جديد.

اعتدلت هي الأخرى ونظرت له باستغراب شديد، وهي متفاجئة مما قال:

- بجد

- آه بجد.. وليكِ عليّا أسيبلك الصبح الفيزا.. هاتي كل الكتب اللي أنتِ عاوزاها.

قفزت عليه من سعادتها، شعرت أنه يحاول عودتها لنفسها التي تحبها، نفسها التي اختارتها بعيداً عن والدها وما فعله بها.

دائماً كانت تحب الكتابة، رغبت كثيراً في كتابة رواية مثل التي تقرؤهم، فهي كانت تُسمى "دودة قراءة" لكنها لم تجرؤ على كتابة قصة يومًا، اكتفت ببعض الخواطر، حتى عندما أخبرتها الطبيبة أن الكتابة أحد أساليب العلاج النفسي، وأنها تساعدها على تفريغ المشاعر، كانت تكتب بسوداوية وحزن، نادرًا ما كتبت عن مشاعر سعيدة، كانت تفضّل أن تعيشها مع سيف بكل ما فيها، ولا تدع مجالًا للتفكير بداخلها.. كيف ستدونها؟ لكن ها هو سيف يُحيي موهبتها وحلمها من جديد.

نامت وهي تبتسم حاضنة يده كطفلة تحضن أباها فرحًا بهدية العيد، وكان سيف ينظر لها بحنان وحب بالغ، يشم رائحتها ويضمها لصدره؛ كما لو أنه يحاول إدخالها في قلبه للأبد.

في صباح اليوم الجديد بعد توجُّه سيف لعمله والطفلين للمدرسة، جلست روح تتصفح مواقع المكتبات، تطلب كتبًا وروايات في مجالات متنوعة، كانت تختار بنهم؛ كمن تاه في الصحراء دون ماء، ووجد أمامه نهرًا عذبًا فجأة، نظرت لأحدث الإصدارات، وما أضاف كُتّابُها في مجال الأدب، وبعد أن أنهت مشترياتها وكارت الفيزا معاً، وجدت سيف يتصل بها، ردت عليه ليقول:

- واحدة واحدة يا ماما، أنا فلّست.

لترد ضاحكة:

- ما أنا خلّصت أهو.

- خلصتِ طلبات ولا فلوس الفيزا؟

- احم احم، الاتنين.

- يا خراب بيتك يا صابر.

لتعلو ضحكتها وضحكته معًا ويقول:

- المهم تكوني مبسوطة، اعملي غدا حلو بقى.

- من عينيا، ربنا يخليك ليا.

- وأنتِ كمان يا قلبي، يلّا علشان كريم قاعد جوا المكالمة، سلام.

وأغلق معها الهاتف ووجّه نظره لكريم قائلًا:

- خير؟ قاعد جوا المكالمة معايا؟!

- أنا بتعلم منك.

- تتعلم ايه؟

- إزاي المتجوزين بيضحكوا؟

- أنت تاني؟ يا ابني قولتلك لما يبقى في حب ومودة ورحمة وتفاهم مش هيبقى في غير ضحك.

نظر كريم نظرة احترام لسيف، فهو يقدره ويحترم نظرته للحياة عمومًا؛ برغم كونه أكبر من سيف بخمسة أعوام، لكنه يشعر دائماً أن سيف أدرى بالحياة العملية والعاطفية والواقعية منه.

على الجانب الآخر.. فتحت روح صفحتها الخاصة على موقع فيس بوك، وقامت بالكتابة عليها بعد انقطاع أعوام لا تستطيع حسرها، دونت "البداية قرار ليست توقيت".

ثم أغلقت الحاسوب الخاص بها، ولكن.. لفتَ نظرها صورة على فيس بوك أشعلت في روحها الإبداع، شعرت أن هناك محاكاة في خيالها لهذه الصورة.

قامت من مكانها، وذهبت إلى دفترها بعد أن قسمته نصفين، نصف كتب به ما كتب، ونصف قررت أن تبدأ فيه رحلة جديدة في حياتها.

(شعرَ بنفسه حرًّا أخيرًا، كمن اخترق جدار سجن، أو كطير حطّم قيود قفصه. كم أفتقد ذلك الشعور؟ لم ينسَ قط ما مرّ به -منذ ذلك اليوم المشؤوم- حين شاهد أخته الصغرى تصرخ لأختها الكبرى:

"لا تذهبي! سيعثرون عليكِ أينما كنتِ!" لكنها لم تستمع.

يتذكر أمه، كيف جلست بصمت، بلا صوت، لكن دموعها وملامح الحزن على وجهها كانت كفيلة بإيصال ألف كلمة. كان صدى وجعها يمزق القلوب، ويصم الآذان من شدته. كانت تنهار على ركام أسرةٍ ضاعت في ليلةٍ غاب فيها القمر، وكسَاها الحزن والدموع.

بدأ كل شيء عندما فتحت الأم باب غرفة ابنتها الكبرى لتطمئن عليها. كانت تسمع صوتًا مكتومًا يصدر من الغرفة بعد منتصف الليل. الجميع كان في سباته، لكن الأم –كعادتها- كانت مستيقظة تقرأ بصمتٍ لا يعلمه أحد. فزوجها كان قد منعها من ذلك المنفذ الوحيد نحو الحياة، منذ أن تزوجها وهي في الرابعة عشر، غير عابئٍ بفارق العمر الذي تجاوز العشرين عامًا. أجبرها على ترك مدرستها، وكأنما اشتراها من أبيها.. بل هو حقاً نعم، اشتراها. فلا يوجد تعبير أدق من ذلك.

ومع ذلك، لم تيأس.. حافظت على القراءة والكتابة في السر، حتى بعد مرور عشرين عامًا من ذلك الزواج. كانت تقرأ في الليالي التي يغيب فيها الزوج، سواء للعمل أو لنزواته التي لا تنتهي. تهرب من واقعها اليومي البائس إلى رواياتٍ تعيشها في خيالها.

لكن تلك الليلة.. كانت الفاصلة.

الصوت المكتوم أشعل القلق في داخلها. ذهبت لترى مصدره.

كان من غرفة ابنتها الكبرى، صاحبة التسعة عشر عامًا.

فتحت الباب فوجدته...

كان يقيّدها في السرير، إنه هو...

من ظنّته يومًا صديقًا، عمّ أولادها، يعتدي على ابنتها.

وكانت نظرات الابنة صادمة...

فيها حبّ، وموافقة.

وقفت الأم مصدومة، مذهولة، غير قادرة حتى على الصراخ.

كنتُ آنذاك لم أتجاوز السابعة، لكني أذكر كل شيء. كنت أقف عند باب غرفتي، أرى أمي وأختي وعمي. لم أفهم ما يحدث، إلى أن رأيت أختي تمسك بذراع عمي قائلة:

"لا تتركني... أنا أحبك." فتركها وخرج، دون أن ينطق بكلمة.

انهارت أمي في صمت، بينما جمعت أختي أغراضها ورحلت. حاولت أختي الأخرى، ذات السبعة عشر عامًا منعها، لكنها أبت البقاء.

كانت جدتي تراقب كل شيء وتضحك من بعيد وهي تقول:

"عرفتي تربي يا زوجة ابني؟ ألحقتِ العار بنا بفتياتك.

"من أراد العار فلينجب فتيات!"

لم أفهم ما العار الذي تقصده.. إلا حين كبرت، ووقفت على قبرها يومًا وقلت لها:

"العار على أولادك، لا على أمي، ولا على أخواتي. أنتِ من فشلتِ في تربية أولادك، لأنهم رجال، لا يُعيبهم شيء من وجهة نظرك، فقط لأنهم ذكور! كم كان ذلك سببًا مقنعًا.. يا جدتي".

منذ تلك الليلة، لم تعد حياتنا كما كانت.

بعد أن هدأت العاصفة، جمعت أمي ما استطاعت من أغراضنا، وأخذتنا إلى قرية بعيدة لا يعرفنا فيها أحد. وجدنا بيتًا صغيرًا فارغًا، كان مع أمي مفتاحه، عشنا فيه بأبسط ما يمكن. لم تصدر أمي صوتًا منذ تلك الليلة، حتى ظننا أنها فقدت النطق، لم أسمع صوتها قط.. فقط كانت تقرأ.

عملن أخواتي في مهن بسيطة داخل القرية، ولم نعلم ماذا حل بأبي. هل بحث عنا؟ هل سأل؟ وماذا أخبرَتْه جدتي؟ أَلَا يزال يذكرنا؟ أسئلة كثيرة دارت في عقولنا دون إجابة.

مرت الأعوام، وأمي ترفض زواج أي من أخواتي، بلغت أختي الكبرى عامها الثلاثين، والأخرى الثامنة والعشرين. تعجّب الجميع من رفضها وعزلتنا، وبدأت الأقاويل والأسئلة تكثر: لماذا هذا الانعزال؟ لماذا هذه الوحدة؟

ومع بلوغي الثامنة عشرة، قررت أن أبحث عن أبي، أُخبره أننا أحياء.. لم نمت.

ذهبت سرًا إلى مدينتنا القديمة، بحثت عن منزلنا فلم أجدْه، تغيّر كل شيء. مضت عشرة سنوات كفيلة بأن تمحو وتبني، سألت عن اسم أبي فوجدته في مستشفى المدينة، ذهبت إليه.. ملامحه أصابها العجز والوهن، لكن هيبته لم تزل.

عرفت من الأطباء أنه مصاب بالمرض الخبيث في مراحله الأخيرة، بسبب الكحول.

دخلت عليه لم يعرفني.. وكان ذلك متوقعًا.

-أبي.

ذُهل وسأل بصوتٍ مرتجف:

- أ.. أأنتم أحياء؟

- نعم، لماذا لم تبحث عنا؟

قال ببرود:

- أبحث عن أمكم الخائنة؟

أدركت حينها ما زرعته جدتي وعمي في رأسه. فقلت له باستنكار:

- وماذا عنا؟ ألسنا أبناءك؟

- أمكم من خانتني.. وأنتم اخترتم أن تتركوني، فلكم ذلك.

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أسرد له كل ما حدث في تلك الليلة، حكيت له ما فعله أخوه بابنته، وما قالته أمه، ومقدار الفقر والضيق الذي عشناه، أخبرته عن خوفنا من الفضيحة، والعزلة التي فُرضت علينا.

لم يصدق، لكنه كان يعلم في قرارة نفسه أني أقول الحقيقة.

أنهيت كلامي بجملة واحدة:

- أردت فقط أن تعرف الحقيقة، نحن لم نرد منك شيئًا سوى أن تسأل عنّا، لكنك لم تكن يومًا أبًا لنا، أردتُ أن أراك كي لا أنسى ملامحك.. كما نسينا صوت أمي، مبارك عليك أخوك الغالي.. وداعًا.

غادرت دون أن ألتفت خلفي، لكنني شعرت أن روحي أصبحت أخف، وكأن تلك القيود التي كبلتني قد انكسرت بلقائه.

عدت إلى أمي، مرفوع الرأس، وأخبرتها بكل شيء.. فما كان منها إلا أن فرت دموعها.. لا أدري لماذا بالتحديد، هل علينا أم على نفسها أم على أبي؟ لا أعلم.. لكني سمعت صوتها للمرة الأولى منذ سنين تقول:

- المهم.. أنك أنت من تدرك الحقيقة.

كان لصوتها وقع مختلف على قلبي، شعورٌ أكمل تحرري.

جملتها وحدها كانت كافية لأن نبكي جميعًا، ونضمّ بعضنا لأول مرة منذ تلك الليلة.

ومنذ تلك اللحظة، قررت أمي العودة إلى المدينة.

لنواجه العالم... سويًا هذه المرة).

انتهت روح من كتابتها ونظرت لما كتبت، متفاجئة مما صنعت، فهي لم تتوقف عن الكتابة، ولم تدرك ما كتبت حتى انتهت، ظنت أن هناك جن قد مسها أو جنون، لا تدري.. لكنها متأكدة أن من كتب تلك المحاكاة أو القصة ليست هي.

عاودت القراءة مرات كثيرة لتدرك ماذا قدمت، ثم سيطر عليها شعور الفرحة والانتصار أنها عادت، أو ربما ولدت من جديد، اتصلت بسيف والفرحة تخرج من صوتها لتصل لقلبه، لن يسألها عن سبب الاتصال أو سبب هذه السعادة، اكتفى فقط بقوله "وحشني صوتك وهو فرحان كدا، هخلص اللي ورايا وهعملك مفاجأة حلوة.. سلام".

أغلق الخط ليتركها في فرحة أكبر، لتقوم وتنهى كل الأعمال المنزلية في نشاط لم تكن عليه من قبل، وتنتظر عودة أسرتها ليشاركوها استقبال تلك الروح الجديدة.

الفصل الخامس

مر شهر عن أول أنطلاقه لها في الكتابة، غير عابئه بمسمى ذلك أن كان قصة أو خاطرة أو حتى لا شئ، المهم أنها تكتب ، أنها وجدت نفسها.
شعر سيف بالسعادة التي تنطلق منها، رأها وكأنها صغرت عشرة أعوام مرة أخرى، نشاطها في قمته، قرأ ما كتبت من خواطر وقصص بعدما عرضتها عليه لتسمع رأيه، وتأكّد أنها تستحق فرصة كاملة لتطوير موهبتها، أخذ قصة قصيرة مما كتبت وأرسلها لصديقه صاحب دار نشر " أنا عاوز رأيك في قصة صغيرة كدا حد أعرفه كتبها.. بص هي مش محترفة.. هي لسة مبتدئة بس عاوز أعرف هي ممكن تبقى محترفة ولا ......"

(ركب سيارته متجهاً إلى أكثر الأماكن ثقلًا على قلبه، بعد أن كان أقربها وأحبها إلى روحه، أغرق نفسه بذلك العطر النفاذ الذي أصبح صديقه على غير عادته، لأنه يمنع وصول أي عطر آخر لأنفه، تشعر أنه يغلق على حواسه جميعًا من العالم الخارجي، خائف من أي شيء صغير يحيي بداخله ذكري يحاول قتلها باستمرار.

بدأ في قيادة سيارته إلى الإسكندرية، بعد أن حاول جاهداً تغيير مكان اجتماعه، وجعله في أي مكان آخر، إلا أن العميل رفض، ولكونه عمل هام فما كان أمامه سوى الموافقة، شغل موسيقى صاخبة حتى لا يسمع صوت قلبه في الطريق، قاد بسرعة تصل للطيران حتى لا يملك وقتًا للنظر في الساعة للتأكد من موعده، وبعد أن وصل مكان الاجتماع وجد نفسه مبكرًا ساعتين كاملتين، كتم غضبه داخله، وشعر أن الكون كله مصرّ على جعله يتذكرها، فقرر الاستسلام.

ذهب إلي مكانه المفضل سابقاً على الكورنيش، وطلب قهوته، ثم جلس إلى طاولته المميزة؛ لمنظر البحر و تداخله مع الشمس من زاويته، تذكر كيف

كانت لمسة يدها لكوب القهوة كفيلة أن تعطيها مذاقًا خاصًا، حتى لو لم تكن هي من أحضرته، وكيف كانت رائحة عطرها الهادئ (sugary) كفيله بجعله يطير فوق السحاب؛ من إحساس السلام النفسي والعاطفى، كانت تشعره بالأمان والطمأنينة من صوت أنفاسها فقط قبل أن تتكلم، تفهمه، تعرف تصرفاته، كلامه، حركاته قبل حتى أن ينفذها، فهي تلك الصديقة من أيام الجامعة، و المساعدة الخاصة به في العمل، ليس لقلة خبرة منها، بل لأنها تكمل له ما يبدأ هو به في خياله، هي من تفهمه، وهو من يثق بها.

كانا مثالًا للعلاقة الناجحة في كل شيء: العمل، الحب، الصداقة، تشعر أنهم نسختان لعقل وقلب واحد.

بسبب حبها للإسكندرية استقرّا بها وأصبحا يعملان عن بعد، أو يسافران كل يوم إذا تطلب الأمر.

كانت تستيقظ على كوب أبيض كبير من القهوة المحلاة، تجلس في شرفة الغرفة أمام البحر في صمت تام مع موسيقى underground هادئة، كل يوم قبل أن تبدأ حديثها مع أي شخص مهما كان، وجعلته مثلها مع الوقت؛ لا يسمع سوى نفس الموسيقى، ولا يشرب القهوة إلا محلاة في كوب أبيض كبير، لا يحب سوى العطور الهادئة، أصبحا يشكلان حلمًا لأصدقائهما في حالة البحث عن شريك العمر.

ولكن كل شيء تغير في ليلة واحدة؛ بعد أن كان من المفترض أن تكون تلك الليلة هي بداية السعادة بعينها، بعد أن عرض عليها الزواج، وقبلت، وألبسها خاتمها، وفرحتها غمرت كل من حولهما سواء يعرفهما أو لا، حيث كانا على البحر ليلًا يجلسان كما اعتادا مستندَيْن الرأسين على أكتاف بعضهما، ينظران للقمر، يتحدثان حتى فاجأها هو بطلبه، وأعلنت وهي موافقتها.

ولكن مع بداية الشروق لهذه الليلة تبدلت الأحوال، عندما سأل عن شيء تجنبت هي التحدث عنه منذ أن عرفها أي قبل ١٠ سنوات كاملة.

أسرتها؟!

قال وهو يحتضنها:

- سأذهب لأطلب يدك من أسرتك، لكني لم أعرف شيئًا عنهم من قبل، واحترمت إغلاقك لهذا الموضوع، لكن كوننا سنكون أسرة واحدة وسنكون أسرتنا الآن فأخبريني عنهم.

كانت تحارب نفسها لتهرب من ذلك الموضوع طيلة حياتها، تدري في قرارة نفسها أنه حقه، وأنه لم يخطئ، لكن ذلك الجرح الذي لن يموت أبداً داخلها سيظل ينزف للأبد، جرح رفض أهلها لها لكونها فتاة فقط، ورغبتهم في قتلها، وتعنيفهم المستمر الذي لم ينقذها منهم سوا والدتها؛ التي سمحت لها بالهرب بعد الثانوية العامة، لتكوّن لنفسها حياة جديدة تحيا فيها، بدلًا من أن تقتل، أو تضيع على يد أب لديه انفصام في الشخصية، لا يدرك ماذا يحب أو يكره سوى أنه لا يحب ابنته فقط، لكنه يحب ابنة أي شخصاً آخر.

وبالفعل بعد الثانوية العامة اختفت، ودخلت جامعة خاصة بمساعدة من والدتها، دون علم أحد أنهما على اتصال من الأساس، وعملت في أكثر من مجال، وكوّنت اسمًا وسمعة، إلا أنها قررت أن تكون مساعده خاصة له، حتى لا يعرف أحد من أفراد أسرتها مكانها بالصدفة ذات يوم، والآن كيف ستخبره كل ذلك؟ كيف ستواجهه وتشرح له؟ وهل سيقبل بهذا من الأساس؟ وإن لم يقبل هل سيحفظ سرها؟!

وهنا توقفت كثيرًا، لأن هذا هو السؤال الأصعب، لكنها قررت الصمت والمغادرة دون إبداء أي سبب، وقبل الظهيرة كانت قد سافرت خارج البلاد بتذكرة بلا عودة محتفظة بخاتمه في يدها، أما هو فقد أصيب بصدمة جعلته يعيد ١٠ سنوات كاملة في ذاكرته، يحاول ترتيب أي تفاصيل، يحاول أن يجد لها مبررًا، لم يجد، فقرر قتلها بداخله.

أصبح يشرب القهوة مُرة، يشتري عطورًا نفاذة، يبتعد عن الإسكندرية قدر الإمكان، لكنه نسى خلع خاتمها من إصبعه، حبس نفسه فيه كما حبست هي الأخرى نفسها.

استيقظ من بحر ذكرياته وهو يحاول حبس دموعه التي تفر في كل مرة يتذكر تلك النظرة التي كانت في عينيها وهي تودعه وهو لا يدري، ونظر لهاتفه ليجد أن اجتماعه على وشك البدء، أخذ نظارته وقهوته، وركب سيارته مشغلاً تلك الموسيقى الصاخبة مرة أخرى متجهاً إلى عمله، منتظراً أن يأتي يوم ويجد لها مبرر أو يجد منها عودة).

كانت روح تعلم بما فعله سيف من إرساله بكتابتها تلك لصديقه، ظلت في انتظار رده، والقلق يأكل في روحها، خافت أن تكون لا تستحق فرصة، لكن سيف أخبرها بصوته الحنون:

- كدا كدا أنتِ بتمارسي هوايتك من قلبك؛ يعني تستحقي، أنتِ بتكتبي بروحك يا روح، من قلبك، واللي من القلب بيوصل للقلب.

- افرض كنت موهومة؟

شعر بنظرة الحزن في عينها، فقال بصوت أكثر مرحًا:

- يعني بذمتك بعد ما جبتِ المكتبة اللي برا دي كلها، وخليتِ الفيزا على الأبيض، جاية تقولي موهومة.

ضحكت رغمًا عنها، وحاولت إخفاء قلقها، لكن جذبها صوت سيارات الشرطة والجلبة التي حدثت؛ خاصةً وأنهما يسكنان في منطقة هادئة بطبيعة الحال، كأكثر المناطق بالقاهرة الجديدة؛ وخاصةً أن الساعة تجاوزت الواحدة صباحًا.

نظرت روح من النافذة الخلفية، بعدما أدركت أن هذه الجلبة آتية من الشارع الخلفي لها، وكان اسمه حي الأشجار.. رأت سيارة الإسعاف، والشرطة تغلق المكان بالكامل لكن جذبها سؤال واحد سمعته من شرطي وهو ينزل من سيارته مترجلًا:

- مين اللي بلغ؟

وأجابه أمين شرطة بصوت قوي لإثبات قوته و مركزه:

- مراته سعادتك.

أغلقت روح النافذة وعقلها يشغله ما يحدث خارجًا، إلا أنها قررت النوم ومحاولة معرفة ما حدث صباحًا عندما تستيقظ.

الفصل السادس

(دخل عليها غرفتها، وجدها تجلس كعادتها، تنظر إلي صورة أصغر أبنائها الذي تزوج وسافر منذ بضعة أشهر، وكانت الدموع بدأت تنساب من عينيها، فجلس بجوارها وانحنى قائلاً:

- عدّى شهور ولسه بتقعدي نفس القعدة، دموعك هتخلص كدا.

كان يبتسم ابتسامة خفيفة ليهون عنها، وهي تعلم ذلك، نظرت له وهي تبتسم مثله قائلة:

- وأنت كل يوم تدخل تقول نفس الكلمتين؟! إيه طيب.. غيّرهم حتى؟

ضحكا معًا، وجلسا يتذكران كيف كان هذا البيت مليئًا بالضحكات والبكاء والصراخ الخاص بأولادهم، فهما لديهم ثلاثة أبناء جميعهم تزوجوا، سافر من سافر، ومن بقي في البلاد أخذته حياته الجديدة، لكنه يمر هو وأسرته من حين لآخر ليزور والديه سريعًا، لكن يظل الأب والأم بمفردهما وسط هذه الذكريات التي تجعل ابتسامتهما تختلط بالدموع دائمًا.. رد عليها بنفس الابتسامة:

- وأنتِ مزهقتيش من التكرار؟!

نظرت له بحنان وهي تحضنه قائلة:

-ومش هزهق أبدًا، زي ما بدأت حياتي معاك هنهيها معاك بردو، أنت اللي طلعت بيه من الدنيا، رهاني اللي عمري ما خسرته.

احتضنها ودموعه تغمر وجهه قائلاً

- أنتِ دنيتي نفسها.

ثم اعتدلتْ وابتسمت له بعد أن مسحت وجهها ووجهه، وقالت بدلال:

- كفاية نكد بقى، أنا عاوزة آيس كريم.

ضحك عليها؛ فبداخلها طفلة رغم عمرها الذي تجاوز الستين، وهذا أكثر ما يحبه بها، فرد عليها:

- أوامرك يا هانم، هنزل أجيبه لحضرتك وآجي.

قبلته في وجنته وقالت:

- متتأخرش.. يلّا بسرعة يا عجوز.

وعلت ضحكتها وأكملت

- هبصّ عليك من البلكونة علشان محدش يعاكسك.

ضحك كثيرًا قائلًا وهو يغلق الباب خلفه: سلام يا ماما.)

لم تتوقف روح عن الكتابة، لكنها كانت تكتب ما تشعر به، أو يشغل بالها فقط.

لم تتبع قواعد أو تتعلم قوانين الكتابة، تدرك أن ما يكتب من القلب يصل إلى القلب كما قال سيف.

أما سيف لم يشغل باله برد صاحبه الذي لم يرد، رغم مرور وقت طويل منذ أن راسله طالبًا رأيه فيما كتبت روح، بل ظل داعمًا لها؛ يتابع كل ما تكتب، ويقول ملاحظاته بصفته قارئًا، حتى عمر وسلمى أصبحا قارئيْن، ليس لروح؛ ولكن أحبا فكرة إمساك الكتب والقصص مثل أمهما.

وفي يوم دخل سيف المنزل، وجد روح وعمر وسلمى جالسين أمام التلفاز المغلق، وكل منهم ممسك بقصة يقرؤها، ضحك وصاح بصوته عاليًا:

- شكلي دخلت معرض الكتاب، كلكوا بقيتوا قراء؟! إيه الحلاوة دي؟!

نظرت روح له وهي تبتسم:

- أنت لا كدا عاجبك ولا كدا عجبك؟!

قفزا عمر وسلمى عليه ليحتضناه، ويلعبا معه، بينما ذهبت روح لإعداد الغداء.

دخل سيف عليها المطبخ وهو يحاول التقاط أنفاسه؛ بعدما أرهقه القفز والجري خلف أطفاله، وقد لاحظ أن روح حزينة؛ فسأل باهتمام:

- مالك يا روح متضايقة ليه؟

- أنت مش حاسس باللي احنا فيه بقالنا أسبوع؟ البوليس اللي قافل المنطقة، و٣ جرايم قتل في عمارة واحدة، مش حاسس إن الجو تقيل ويقلق، افرض قاتل متسلسل، ماهو ممكن ييجي يقتلنا.

- وأنتِ الروايات طيرت الحتة اللي كانت فاضلة في دماغك يا قلبي؟! دا بيت عيلة.. وهما بيقتلوا منهم في بعضهم، تار بقى، طمع، خيانة، الله أعلم.

- وأنت عرفت منين؟

- ما أنا أعرف سليم اللي اتقتل أول واحد، كان في بينا شغل، عامله آخر معرض سنوي للشركة بتاعته من ٦ شهور.

- بقى كدا و مش تقولي؟

- وأنتِ من امتى بتسألي عن شغلي مع مين؟

- لا مش قصدي، قصدي إنك تعرف القتيل.

- آاااااه، طيب يا ستي أعرفه وأعرف إنه بيت عيلة، وحققوا معانا من كام يوم، خصوصًا إننا جيران واشتغلنا مع بعض.

- كمان حققوا معاك؟

- آه، بس عادي مفيش حاجة، واللي عرفته إن القاتل منهم فيهم، بس الله أعلم مين وليه، ومش شاغل بالي بيهم، يعني اطمّني مش قاتل متسلسل.

ختم كلامه وضحكته على وجهه، وخرج من المطبخ ليبدل ملابسه، بينما بدأت روح في إعداد السفرة، وكل تفكيرها في جريمة القتل، لكنها لا تريد أن تفتح الموضوع مجددًا مع سيف، فحاولت تغيير ما تفكر به ليشعر سيف أنها بخير وعادت لطبيعتها.

بعد تناول الغداء.. أمسك سيف بهاتفه، وجد صديقه صاحب دار النشر قد قام بإرسال رسالة، فتحها (هي عندها موهبة، بس خليها تكتب حاجة أطول من كدا علشان أقدر أقولك بشكل أفضل، وآسف على التأخير في الرد.. بس احنا في ضغط جامد علشان تجهيزات معرض الكتاب.. أنت عارف بقى السيزون، عمومًا خليها تكتب حاجات طويلة شوية، وأنا هبقى أبعتها لكاتب صاحبي يقول رأيه).

قرأ لروح الرسالة فتوردت وجنتيها فرحًا، وعلت ابتسامتها، فقال سيف:

- هتعرفي تكتبي حاجة طويلة ولا هتعطلي؟

ونظر لها نظرة خبيثة كمن يشكك في قدراتها ليستفزها، وقد نجح، فقالت بصوت به حماس اشتعل في عينيها:

- هتشوف.

مر اليوم دون نقاش آخر حول الكتابة أو أي شيء بهذا الخصوص، فبرغم انشغال روح بموهبتها، كانت تدرك أن هناك حياة لها ولمن حولها يجب أن تحياها وتشارك فيها.

الفصل السابع

«في الحياة بنزعل لما نتنسي، بنخاف نكون ذكرى منسية في حياة اللي حوالينا، لكن المفروض نسأل نفسنا:

هو احنا عملنا إيه علشان نفضل موجودين ونبقى ذكرى محفورة في الحياة بعد رحيلنا؟»

كتبت روح تلك الخاطرة على صفحتها على فيس بوك في صباح يومها التالي، بعدما شعرت نفسها أخف حملاً مما كانت، وظلت حقًا تشغل عقلها بذلك السؤال..

كيف ستبقى بعد الرحيل؟

ما هي بصمتها؟

فكرت.. هل ولداها هما بصمتها؟ هل سيذكرانها؟ هل سيتذكرها سيف؟

ظلت تحاول البحث عن إجابة مرضية لها؛ ولم تجد.

كانت تخشى النسيان سواء أن تخونها ذاكرتها، أو أن تنسى بعد رحيلها، لذا قررت التدوين لتتذكر هي، ولتذكر و يعثر لها على أثر بعد موتها.

ولكن....

جريمة القتل وما تلاها من جرائم في نفس العقار، ونفس العائلة، خلق بداخلها خوفًا من النسيان، وليس من الموت كفكرة.

فالموت حق على الجميع لكن ماذا بعد؟

قررت أن تكون بصمتها فيما تحب، ولداها.. بالطبع تعشقهما وتفعل ما بوسعها لتظل ذكرى محفورة في ذاكرتهما بكل جميل، فنحن نعيش ماضي

أطفالنا ونتحكم في ذكرياتهم التي ستظل في عقولهم في المستقبل، لكن هناك شيء آخر تريد أن تذكر منه.

قررتْ أن تعرف قدر المستطاع عن تلك العائلة، وتكتب بأسلوبها الخاص الجريمة؛ وليس ما حولها، أرادت أن تختبر قوتها في الكتابة في سرد حدث محدد، لا تريد خلق تعاطف مع جاني أو مجني عليه، فقط الحدث.

ومع قلة خبرتها في الكتابة لم تدرك إن كان هذا صحيح ام لا؟ ولم يشغلها ذلك.

وحتى لو لم ينشر أو يقرؤه أحد، فهي تكتب لتترك إرث يحمل اسمها لمن أراد أن يتذكرها يوماً.

نزلت من شقتها، وكان أمامها ساعتان على عودة الأطفال من المدرسة، توجهت نحو أحد المحال الكبرى في نفس شارع الجريمة، سحبت عربة التسوق ولم تكن تنوي شراء شيء، بل الاستماع فقط لما يقال.

المؤكد ألّن يتحدث أحد سوى عن تلك الجريمة، هناك جريمتان قتل، وأخرى شروع في قتل، ثلاث جرائم في أقل من أسبوع داخل عائلة واحدة، ولا أحد يعلم من الجاني.

استرقتْ السمع أثناء تجولها لكلام امرأتين عند ثلاجة اللحوم، فقالت امرأة منهما وهي في العقد الرابع من العمر:

- عمارة نحس، لسه مبنية من ٣ سنين ودول أول من سكنوا فيها.

لترد الثانية، والتي من الواضح أنها تكبرها بحوالي عشرة أعوام أو يزيد، لكن تحاول أن تظهر في صورة أصغر باستخدام مساحيق التجميل والملابس غير المتناسبة:

- هما صحاب العمارة، وكلهم لسه متجوزين ورا بعض مكملوش سنتين، بس سمعت كدا إن واحدة فيهم اتطلقت بعد الجريمة الأولانية، بيقولوا جوزها كان ماشي مع مرات القتيل.

صُدمت روح مما سمعت، وحاولت ألّا تظهر ردة فعل حتى لا يلتفتا إليها، أكملا كلامهما بأريحية:

- أنا قولت من الأول الحكاية دي وراها واحدة.

- لا وقال إيه كلهم ولاد عم، دول بينهم ماية ساقعة مش دم.

- تلاقي هي اللي جرجرته.

تركت روح مكانها بعدما تحول الكلام إلى خيال ومحاولات للتخمين، هي تريد معلومات فقط، وتترك التخمين لخيالها دون تأثير من أحد.

أخذت تدور في أركان المحل دون جدوى، نظرت للوقت وكان قد مرت ساعة ونصف، قررت العودة للمنزل للحاق بطفليها وزوجها، ولتسأله بطريقة غير مباشرة عما يعرفه.

بعد الغداء جلس سيف أمام التلفاز ليشاهد مباراة في الدوري الانجليزي، جلست روح بجواره لتتابع معه المباراة، فهو يعلم حبها لكرة القدم، لكنه شعر أن عقلها ليس مع المباراة، فسألها وهو لا ينظر لها:

- مش زي عادتك يعني! فين الصريخ والصوت العالي؟

أجابته وكأنها كانت تنتظره ليبدأ الحديث:

- هو صاحبك لسه ماردش؟

- صاحبي؟! آه، لا لسة، وأنتِ شاغلة بالك بيه ليه؟ اكتبي أنتِ بس وأنا أنشرلك يا جميل.

- وافرض مبعرفش أكتب.

- إزاي؟

- طلعت مليش في الكتابة يعني، منفعش.

- لا، تنفعي، أنا مقتنع بيكِ، ولا دا مش مهم عندك؟

نظرت له في حنان وحب حقيقي، وقالت:

- دا أهم حاجة عندي، ربنا يخليك ليا، بقولك..

- أيوا كدا، في حاجة بتفركي علشانها، قولي، بس لو عاوزة كتب تاني انسي أنا فلّست.

ضحكت وقالت:

- لا اطمن لسه مش دلوقتي.

- يبقى تمام، قولي عاوزة ايه؟

- تعرف إيه حصل في الجرايم اللي حصلت دي؟

اعتدل في جلسته، وأغلق المباراة، ونظر إليها بجدية وقال:

- وأنتِ شاغلة نفسك بالحوار دا ليه؟

- عاوزة أكتب عنه.

- تكتبي ايه؟

- مش عارفة، أنا بحاول أعرف أي تفاصيل، وأشوف دماغي هتروح فين؟

- مممممم، ماشي يا أم دماغ، عمومًا أنا اللي أعرفه إن الشركة بتاعتهم فيها قلق وتحقيقات، وغالبًا اللي عاملها يا شغال هناك يا قريبهم، أو يعرفهم أوي يعني، بس كدا.

سمعت صوت ينادي من الداخل:

- ماااااااااامااااااااا.. أنا مش عارفة أحل حاجة.

نظر لها سيف وضحك وهو يقول:

- قوم يا عم شارلوك هولمز حل الواجب وبعدين ابقى حل القضية.

قامت روح من جواره وهي تضحك وتنظر له شذرًا في آن واحد، وقالت:

- اتريأ اتريأ، ما أنت وعيالك عليا.

في المساء لم تنم، ظلت الفكرة تتكون داخلها، وقررت أن ما عرفته يكفيها لتبدع هي في الباقي.. وفي الصباح بعد خروج الجميع، فتحت الحاسوب الخاص بها، ثم أنشأت ملف word، واسمته (حي الأشجار)، وكتبت فيه أول جملة علقت في ذهنها منذ معرفتها بالجريمة.

«مين اللي بلغ؟»

الفصل الثامن

مر شهر كامل، لم تتوقف فيه روح عن الكتابة، لم تنم بالقدر الكافي، أهملت قليلًا في هيئتها، من يراها يظن أنها ترعى رضيعًا يهلك جسدها، ويمنعه من الراحة، وهي كانت كذلك.

كانت ترى ما تكتبه كما لو كان ابنًا لها، ترعاه بكل قواها ليكبر ويظهر للنور، وليس النور في النشر والعرض للعامة، بل النور هو أن يكون عملاً كاملاً أمامها، راضية عنه تماماً، يشعرها أنها تستطيع، لكن...

سيف شعر أن زوجته سافرت في عالم لا يعلم عنه شيئًا، لم تخبره عمّا تكتب، تركها تغوص في بحر لا يعلمه، وهو متأكد أن هي أيضًا لا تعلمه.

أصبحت هزيلة؛ ربما خسرت ما يقرب من عشرة كيلو جرامات من وزنها خلال ذلك الشهر، تحيط حول عينيها هالات سوداء، تكاد منهما لا ترى عينيها من الأساس، حاول سيف بقدر الإمكان مساعدتها دون التقليل مما تفعل، فهو يدرك أهميته لها، ربما ما تفعل يكون طوق النجاة من الاكتئاب الذي يزورها كل فترة.

كانت روح مدركة لذلك، ولم تبدِ له أدراكها، فهي تعرف أنها تمر بفترة اكتئاب الآن؛ بعد رؤيتها لوالدها وحديثها معه برغم من مرور ما يقرب من ثلاث شهور على ذلك، شعرت أنها وضعت تركيزها كاملًا فيما تكتب لعلّه ينقذها، حاولت الحفاظ على بعض قوتها لسلمى وعمر، فهي لم تهمل في دراستهما والاعتناء بهما، لكنها اختصرت الإهمال على نفسها.

في صباح اليوم التالي.. أجرت اتصالاً على سيف وهو في عمله، دُهش سيف؛ فهي لم تتصل طوال الشهر الماضي، لو لم يتصل هو فلن تجمعهما مكالمة من الأساس، شعر بالقلق، لعل حدث لها مكروه، فأجاب مسرعًا:

- آلو

- أنا خلاااااااااااااصت

لم يدرك ما الذي انتهت منه روح، لكن شعر بسعادتها تقفز أمامه في صوتها، ثم أدرك أنها أنهت ما تكتب، فأجاب بصوت ملهوف:

- بجد؟ يعني براءة؟

لتدب ضحكتها في قلبه قبل أذنه، فيكمل:

- الحمد لله، حمدلله على السلامة يا جدع، نحتفل بقى.

- لما تيجي نحتفل.. المهم هاتلي حاجات حلوة كتير وأنت جاي.

- رجعت الروح للروح، دا أنا هجيبلك الماركت كله.

أغلق سيف الهاتف وهو مبتسم من قلبه حقًا، يشعر أن زوجته عادت كما كانت في أول زواجهما، ضحكتها الصافية التي كان يشتاق لها، لروحها التي تعيش بها روحه.

أنهى عمله بأسرع ما يمكن، لكنه لم يستطع الانتهاء قبل حلول الليل، وصل البيت بعد نوم الطفلين، لكن روح كانت تنتظره بشوق حقيقي، اشتياق يقفز من عينيها، ليحتضنه قبل أن تحتضنه يداها بمجرد دخوله من الباب.

شعر سيف بروحه تشتاق لها ولرائحتها التي طالما تذكرها وهو بعيد عنها، وأشعرته أنها بجواره، أو ربما بداخله.

بعد أن انتهيا من الحب والطعام قال سيف:

- فاكرة التحدي بتاعك؟

تعجبت منه وردت وهي لا تدري لما تذكّره:

- آه، اشمعنا؟

ضحك سيف وهو يقول:

- أصْلي عاوز اعترف بحاجة بس مقلق منك.

نظرت روح وهي ترفع حاجبًا وتنزل آخر:

- خير؟

- لا مش قايل غير لو في التحدي.

- قول، ليك الأمان.

تنفس كما لو كان على وشك الغوص في بحر عميق، ثم قال

- واحشتيني.
- وهي الكلمة دي محتاجة تحدي؟
- لا، بس حسيت أنك رجعتي من سفر بعيد، المهم أنا عاوز أقرأ اللي سرقك مني، ممكن؟

صدمت روح مما سمعت، لا تدري ماذا يجب عليها أن تفعل؟ هل تفرح أم تخاف وتقلق؟ هل ما كتبتْه يستحق أن يقرؤه أحد غيرها؟ وإن لم تعجبه.. كيف ستكون ردة فعلها؟

خاف سيف من ردة فعل روح، كان يظن أنها ستفرح، ربما تقفز من السعادة، لكنها أمامه تائهة، أدرك قلقها وخوفها؛ فأكمل بصوت حنون يطمئنها كعادته:

- مش واثقة في رأيي، ولا مش عاوزاني أشوفها أصلاً؟.

لم تجبْ، وربما لم تسمعه من الأساس، فجذبها سيف لحضنه علّها تشعر بوجوده وببعض الأمان، ليكمل وهو يداعب شعرها:

- محدش قالك هتنافسي نجيب محفوظ من أول عمل، إنا حابب أشوفك بقيتي إزاي؟ عاوز أتعرف على الكاتبة بتاعتي و ليكِ عندي هقول رأيي بكل حياد، ولو مش عاوزة عادي، أنتِ هتفضلي Google بتاعي اللي بيعرف يعمل كل حاجة وعارف كل حاجة في أي وقت، فكي وشك بقى.

لتفاجئه برد هادئ وابتسامة ناعمة مثلها:

-هتقرأها بس بشرط.

- أنت تؤمر وتتشرط براحتك، دا أنت روح الروح يا عم.

أكملت وهي بنفس الابتسامة:

- هتقرأها و تقولّي رأيك ورأيه بكل صراحة، وبجد.

ضمها لصدره كما لو أنه يدخلها قلبه، وابتسم وهو يقول:

- دا كدا كدا، بس أنا عارف إنها تستاهل، يلا ننام بقى علشان أعيش مع كتابتك بكرا بدماغ مرتاحة.

لترد عليه بلهفه يشوبها بعض الحزن:

- أستنى بما أنك جيبت سيرة التحدي، فأنا عاوزة أعترف بحاجة.

علت نظرات الأستغراب على وجهه سيف من جديد فلا يزال أخر أعتراف لم يفارق قلبه بعد.

لتكمل هي

- من حوالي ثلاث شهور، كلمني، وجه هنا عند البيت، بيقول كان عايز يطمن عليا، بس أنا عملتله بلوك.

أدرك سيف أنها تتحدث عن والدها، فحاول ضمها أليه لعلها تهدئ، فهو الآن أدرك سبب حالتها الحزينة التى كانت عليها قبل دخولها فيما كتبت، وأنها كتبت لتنتهي من شعورها بظهوره مجدداً في حياتها، إلا أنها أكملت

- أنا مفتركش ليه لحظة حنية علشان أقول أني وحشته ولا أنه قلقان عليا زي ما بيقول، كل اللي فكراه الضرب، الاهانة، كل كلمة جرحت فيا و في أختي و في ماما، إصراره على جواز أختي لحد ما خرجت جثة من شقتها، ضربه و أهانته لأمي لمجرد حبها لينا و خوفها علينا منه، وجعي وأنا بختار أصحاب و حياة غلط لمجرد أني أهرب منه و من وجوده، إزاي الكل شايفه حنين ما عدا أهل بيته بيفضلوا يتمنوا أنه يفضل برا.

بدأت الدموع تظهر في عينيها و صوتها، فلم ينطق سيف و تركها تخرج كل ما بها لعلها ترتاح أخيراً، أكملت

- عارف هو عمره ما حبني أنا بذات، حب أمي يمكن، أختي أحتمال، لكن أنا لا، كان عاوز ولد، تقولش هيسيبله الورث والعمودية، حسسني بالرفض دايماً، الدكتورة بتاعتي قالتلي أني عشت بعقده الرفض و كل اللي عملته في حياتي كان رد فعل للرفض دا، كنت عاوزة أحس أني مطلوبة، أتحب، أستاهل يبقى ليا حد.

أكملت وهي تختبئ داخل حضنه بدموع لا تتوقف

- أنت اللي لقيتني، وحايتني، حسستني أن ممكن أعيش و أحلم و أتحب.

لم ينطق سيف لكنه شعر بكلامها يعبر قلبه كسكين بارد، لم يسعفه أي كلام سيقوله، فقرر أن يترك لها حضنه لعله يطمئنها حتى ناما وهما يحتضنان بعضهما البعض؛ كما لو كانا يخافان من أن يترك أحدهما الآخر بعد أن عادا أخيرًا بعد غياب.

الفصل التاسع

الرحمة

-هيا، أسرعي، هل انتهيتِ؟

- حسنًا، سآتي.

ها أنا اجلس مرةً أخرى أمام تلك المرأة، لا أدري أي قناع أرتدي اليوم، نفس المسلسل الهندي الذي لا ينتهي، أرتدي قناعًا لأنال اعجاب المتقدم.

هل أنا بلا هوية لهذة الدرجة؟ وإن لم أفعل أنال عقابي من ضرب وتعذيب وجوع من أبي، ما ذنبي؟! جميع من عُرضت عليهم البضاعة -أنا- يوافقون ثم يذهبون بلا عودة.

أمي تقول إنه سحر بوقف الحال، جلبت شيخًا ليفك السحر بالضرب والتحرش ولم يحدث شيء، شكّوا في شرفي فأتوا بالداية، وأعلنت شرفي، ماذا أفعل بعد؟

دخلت الأم وكأنها تنظر لبضاعة؛ وليست لابنتها، وقالت بحزم شديد:

- عريس اليوم يريدك بكامل زينتك، فهو يحب الفتيات الصغيرات ذوات الجسم الفاتن ومستحضرات التجميل الكثيفة، هيا أسرعي.

أغلقت الباب بعد توضيح المطلوب، تمامًا كما يحدث في المطاعم، هذا ما كان ينقصني.

خرجت ترتدي فستان يثير الجدل و كم من مساحيق التجميل تكاد لا تعلم ملامح وجهها من خلاله، نظر لها نظره شهوانية كنمر يراقب فريسته ويستعد للانقضاض عليها.

جلست أمامه وبدء والدها في تقديم العرض ومنتظر الرد و أمرها بالدخول لغرفتها فقد انتهى العرض وبانتظار الأرباح.

دخلت غرفتها تبكي بمرارة و حرقة روحها تناجي الموت بكل ما تملك من قوة، جلست أمام المرآة مرة أخرى لتزيل ما وضعته محاولة الوصول لوجهها الطبيعي، الحقيقي التي تكاد تكون نسيت ملامحه، اشتاقت لروحها البريئة المحبوسه في قفص من حديد وضعت فيه عنوة من والدها و والدتها و أخوها وزوجته، كانت صديقتها ثم بعد زواجها من اخوها تحولت لعدوة لا تدري سبب العداوة بعد خمس سنوات من ذلك الزواج، تسأل نفسها كل لحظة لما كل ذلك؟

لا تذكر متى كانت آخر مرة ضحكت من قلبها، ربما قبل تخرجها من الجامعة، قبل سبع سنوات.

كم مره الوقت؟ سبع سنوات مروا عليها كسبعين عام، كانت تحلم بالدراسات العليا، بالوظيفة، بالحياة المستقلة، بأفكار كثيرة و عميقة انتهت كلها داخل ذلك القفص الذي لا أعلم سببه، جسدي تلقى الكثير من الضرب و الاهانة والعذاب، وكانت أمي حريصة على علاج تلك الآثار سريعاً بعد كل تفريغ غضب لأبي حتى لا تترك أثر في البضاعة المعروضة، ليشتريها من سيدفع متطلباته دون سياسات استرجاع، نعم أنا بضاعة ولكن لماذا؟

لم أكن فتاة مدللة يوماً، لكن ما لم أعنف في حياتي مثل تلك السنوات، ظلت تردد في نفسها

أريد الخلاص هل سيأتي؟

أكملت بكائها أمام المرآة و كان والدها يغلق باب الشقة خلف المدعو بعريس الليلة بعد ما أخبره أنه سيفكر في مبلغ المهر المطلوب، دخل بعصبية غرفة نومه وكانت تنتظره زوجته وهي تجلس على السرير في عصبيه قاتلة.

-ذهب هو أيضاً، لا مفر ستظل تلك الفتاة جالسة في المنزل بلا زواج أو نهاية.

نظرت له الام دون انت تنطق بكلمة فاكمل

_وماذا أفعل ؟ بعد كل ذلك المال و العناء معها ألقي بها بالترخيص.

لترد أخيراً قائلة

-رخيص أو غالي، دعها تذهب من هنا .

في الشقة الأعلى كانت زوجة الأخ تضحك بصوت مرتفع وهي تقول لزوجها

-لن يرضى بها أحد، ستظل عانس.

نظر لها زوجها ولا يدري ما يقول لكنه قال مستنكراً

_الم تكن صديقتك؟ ألم تكن سبب في زواجنا؟ لما كل هذا الكره؟

أصفر وجهها وأجابت بصوت مهزوز مرتعش

-كانت صديقتي وانتهى، ثم لما سأكرها.

ولم تكمل كلامها ولكنها خرجت هاربه من الغرفة، تاركة الزوج والاخ في حزن غريب على أخته الذي لا يدري سبب كل هذا لها، لكن لابد من حل.

بعد أسبوع من تلك الليلة

دخل الاخ مسرعاً الي غرفتة اخته وقال

-هيا سنذهب؟

_الي أين ؟

-ليس وقته الآن ؟

_وأبي؟

-سأحل أنا الأمر، هيا.

ذهبا الي المطار، ثم أعطاها جواز سفر يحمل أسمها و تأشيرة الي الصين، كانت مجهولة لا تفهم شيئاً، فسألته بصدمتها

-الصين؟

_نعم، لن يعثر عليك أحد هناك، اذهبِ و عيشِ حياتك التي قتلوها هنا، اذهبِ ولا تعودي مهما حدث، أنتِ لا تستحقين شيء مما يحدث لكِ، هيا ستفوتك الطائرة، وأنا سأتواصل معك لا تتواصلِ أنت، وهناك حساب بنكي ينتظرك هناك به ما تحتاجين لبدء حياتك.

كانت دموعها تنهمر بلا توقف، لا تستوعب شيء مما يحدث، أنه أخاها ينقذها، لقد رتب كل شيء، أحتضنته بروحها المكسورة و دخلت المطار وهي نظر لها حتى اختفت.

رجع هو للمنزل، وجد الجميع في حالة من العصبية و السباب، لا أحد يعلم أين اختفت تلك الفتاة، دخل عليهم بصوت قوي

-فلتنسوها، لقد ذهبت ولن تعود.

صدم الأب والام والزوجة مما سمعوا، نظرت له زوجته نظرة خوف منه، فهو يحمل شر لم تراه مسبقاً في عينيه فألتزمت الصمت، أما الأم كانت تحمل ملامح صدمة مبطنة بفرحة عن تخلصها منها، جاء صوت الأب جهوراً، كما لو أنه يحاول التصديق

-الي أين ذهبت؟

_قلت لك لن تعثر عليها، هي ابنتك التي لم تصونها ولن ارحمها لأنها من زوجتك التي هجرتك بعد ولادتها لتلك المسكينة، والتي كتبتها باسم أمي و تركتها لها تعذيبها معك لتأتي صديقتها تسحر لها و تسوء سمعتها بعد زواجها مني لتتخلص منها، تريد كل شيء لنفسها، لكني سأخذ حقي منها في شقتنا، لكن أنتم فلتنسوها، اعتبروا أنها ماتت وانتهى.

جذب زوجته وصعد بها، تاركهم في حالة ثبات استمرت قرابة ساعة، جاء خلالها صوت الزوجة تستغيث من أعلى، لم يضربها بل حبسها في غرفة صغيرة أخبرها أنها لن تخرج منها حية، أما في الأسفل استقرت الام على جملة

-لقد ماتت وانتهى الأمر، فلا تذكرها أمامي مرة أخرى، يكفي ذلك العمر الضايع هباءاً.

صمت الأب ولكنه شعر لأول مرة بوجع في قلبه، كما لو كان تذكر في هذه اللحظة أنه أب.)

كانت تبكي بعد ما أنهت كتابة تلك القصة القصيرة و قامت بنشرها على مدونتها التي انشأتها مؤخراً، لم ترغب في أي شيء منها سوى أن تكون مساحتها الحرة للكتابة في أي شيء وكل شيء، ولكنها تلك المرة شعرت روح بألام بطلتها، لطالما حلمت بالنجاة مثلها والسفر هي وأمها و أختها، لكن ها هي وحيدة الآن، وإن كان رزقها الله بسيف الذي يفتح الآن باب الشقة لتجفف دموعها و يبلغها بأن هناك موعد هام ينتظرهم غداً وأنه يجب أن تنزل لتشتري ملابس مناسبة.

-طب فين ومع مين؟

_مش هقول حاجة يلا ننزل بدل ما هقول مفيش هدوم.

ضحكت و دخلت الغرفة لتبدل ملابسها، بينما ذهب هو ليبدل ملابس الأطفال ليصطحبهم معهما، فأنهم في عطلة نهاية العام الدراسي.

نزلوا جميعاً متوجهين لأحد المولات الشهيرة، تسوقوا و لعب الأطفال في المنطقة المخصصة لهم و تناولوا الطعام وقضوا يوماً سعيداً .

بعد أن وصلوا للمنزل و نام عمر و سلمى ، دخل سيف و روح غرفتهم ، حاولت روح استدراج سيف و معرفة إلى أين سيذهبا ؟ أو مع من موعد الغد؟

لكنه أجابها بجملة واحدة

-اصبري، بكرا تعرفي كل حاجة، تصبحي على خير.

ثم طبع قبلة حانية على وجهها وضمها إليه، ويتركها تفكر حتى غلبها النوم ودخلت عالم أحلامها.

(جريمة حي الأشجار)

في بعض الأحيان لترى الحقيقة عليك غلق عينيك.

(١)

-مين اللي قدم البلاغ؟

كان هذا هو أول سؤال سأله الرائد كريم البنهاوي عندما وصل إلى مسرح الجريمة، بعد أن تلقى الأمر عبر مكالمة من مأمور قسم القاهرة الجديدة. كان يقف أمام مبنى سكني مكون من أربعة طوابق، محاط بالشريط الأصفر الذي يعلن عن تحول ذلك المبنى لمسرح جريمة؛ ممنوع فيه لمس أي شيء، الدخول والخروج، حتى الحديث.. إلا بأمر من سيادة الرائد.

كان كل طابق من الطوابق الأربعة يتكون من شقة واحدة، تسكنها أسرة مكونة من فردين فقط، تعجب الرائد من هذه المصادفة؛ حتى عرف أن العقار بالكامل ملك القتيل، وأنه يسكن فيه مع زوجته، والتي لم يمضِ على زفافهم عام واحد بعد، وأن باقي الشقق يسكنها أبناء عمه الثلاث، وهم إخوة، وأيضاً لم يمر على زواج أي منهم أكثر من عام واحد.

رد الملازم محمد أيوب على الرائد كريم في جدية مبالغ فيها:

- عُثر على القاطن في الطابق الثاني مقتولاً بعدة طعنات داخل المصعد في الدور الأرضي، ولم تسجل كاميرات المراقبة أي دخول أو خروج لشخص غريب في العقار، ولا حتى قبل البلاغ بساعتين، وزوجة المجني عليه وتدعى سارة هي من رأت الجثة، وقامت بالبلاغ.

ابتسم الرائد كريم ثم قال:

- أنا سألت مين اللي بلغ.. مقلتش اقرالي المحضر يا سيادة الملازم.

وضحك وهو يكمل:

- بلاش رسميات زيادة، احنا لسه بنقول يا هادي.

نظر له الملازم أيوب كما يناديه الجميع نظرة مصحوبة بابتسامة هادئة، فهو يعلم أن الرائد كريم يعرفه، ويعلم مدى أسلوبه الجاد، ويخاف من كسر الحدود مع أي شخص في الداخلية نظراً لحداثة سنه، لكن الرائد كريم معروف عنه تفهمه وإنسانيته مع كل من يعمل معهم، وكذلك جدّيته، والخوف الشديد من استثارة غضبه؛ فهو يهابه الجميع، لذا فحتى كسر حدود الجدية معه لها حدود دقيقة أيضًا.

سأل الرائد كريم الملازم أيوب وهو ينفث الدخان من سيجارته الإلكترونية:

- ومراته عرفت إزاي إنه في الأسانسير؟

- كانت بترن عليه، لإنه اتأخر نص ساعة كاملة عن آخر مكالمة كانت بينهم بعد وصوله تحت العمارة، وطلب منها تحضير العشاء وقفل معاها علشان داخل الأسانسير، لما اتأخر فضلت ترن عليه وهو مش بيرد، طلعت من الشقة لقيت الأسانسير واقف في الدور الأرضي مش بيطلع، وهي لسه بترن نزلت على السلم لقيت الباب مفتوح وهو غرقان في دمه والتليفون بيرن جنبه، فضلت تصرخ و باقي الشقق طلعت تشوف في إيه، كانت هي اتصلت بالشرطة و قالت جوزي اتقتل وأغمى عليها، وكمل ابن عمه شريف البلاغ، وبعد كدا اتحركنا من القسم ووصل الطب الشرعي والبحث الجنائي رفعوا البصمات وعاينوا المسرح الجريمة، ومستنيين حضرتك قبل أخذ الجثة للمصلحة.

كان الرائد كريم يسجل بعض الملاحظات في دفتر ملاحظاته أثناء كلام الملازم أيوب، سأل:

- وابن عمه دا ساكن في نفس البيت؟

- آه، التلات شقق لتلاتة إخوات، وهم أولاد عم القتيل، لكن العمارة كلها والشقق باسم القتيل.

- غريبة، يعني هو اللي مسكّنهم معاه، وكلهم متجوزين في نفس الوقت تقريبًا، طيب كاميرات المراقبة جابت دخول القتيل كان الساعة كام؟

- ١١ بالليل، ومراته اكتشفت الجريمة الساعة ١١:٣٠، وعقبال البلاغ ما جه واحنا وصلنا كانت الساعة ١٢:١٠ صباحًا، والكاميرات جابت إن محدش دخل أو خرج من الساعة ٩ مساءً سعادتك.

- وطبعًا محدّش دخل أو خرج من ساعة ما حضرتكم وصلتوا؟

- ولا حد دخل شقته حتى، الكل موجود في شقة الدور الأرضي اللي كانت بتتجهز علشان تبقى مكتب عقارات لزوجة القتيل.

- تمام، يعنى باختصار القاتل منهم فيهم.

- مفيش حل تاني.

دخل الرائد كريم مع الملازم أيوب إلي المدخل، كان باب المصعد مفتوح وقطرات الدماء تغطي المصعد من الداخل بالكامل من السقف والجوانب والأرضية، أما الجثة فكانت في موقعها داخل المصعد، ورجل القتيل تحجز الباب عن الغلق بشكل كامل، عاين الرائد كريم المكان بالكامل، وأعطى الموافقة لفريق الطب الشرعي لأخذ الجثمان؛ على أن يصدروا التقرير في أقرب وقت ممكن، ويتواصلوا معه عند معرفة أي جديد أول بأول.

- حضرتك تحب تبدأ التحقيق هنا ولا في القسم؟

- لا في القسم، بس عيّن حراسة مشددة هنا، مش عاوز نملة تدخل المكان.

- تمام سعادتك.

(٢)

ظننتك واقع حتى وقعت

دخل الملازم أيوب مكتب العقارات، ووجد الإخوة الثلاث واقفين في توتر، ويتحدثون بعصبية زائدة، بينما الزوجات الثلاثة حول زوجة المجني عليه يحاولن تهدئتها، وفي أعينهن قلق و خوف أكثر من الحزن.

نظر إليهم جميعًا ثم قال:

- حضراتكم هتتفضلوا معانا على القسم علشان نكمل التحقيق، وهتيجوا معانا في عربياتنا.

صاح أحدهم:

- هو إحنا متهمين؟ ما تاخدوا أقوالنا هنا؟

نظر الملازم له وهو مبتسم نصف ابتسامة تنم عن بدء التحقيق حقًا داخل عقله، ورد عليه:

- حضرتك شايف ايه؟ جريمة قتل ومحدش غيركم موجود.

سكت الجميع ونظروا لبعضهم البعض في توتر و خوف؛ فرد آخر:

- طب نطلع نغير هدومنا إحنا والمدامات؛ مش هينفع نطلع معاكم بلبس البيت؟

رد الملازم أيوب في حزم:

- محدش طالع شقته ولا متحرك من هنا إلا على القسم معانا، بعد كدا نشوف مين هيروّح ومين مكمل معانا، اتفضلوا بسرعة.

أمسك كل زوج منهم يد زوجته، وخرجوا من الباب باتجاه سيارات الشرطة، وظلت زوجة المجني عليه في حالة الذهول جالسة على كرسيها، وأيوب ينظر لها بتعجب، ويردد في عقله "كيف تركوها جميعًا؟ ولم يهتم بها أحد منهم؟ سنعلم كل شيء في التحقيق".

ثم توجه لها وأشار بالخروج، فلم تقوَ على الوقوف بمفردها، ساعدها حتى ركبت السيارة، وتحركت السيارات تباعًا حتى وصلوا جميعًا إلى قسم القاهرة الجديدة.

(٣)

الأرض البور لن تطرح ثمار.. أبدًا

داخل مكتب الملازم أيوب جلس الجميع في حالة خوف وقلق مما سيحدث، بينما كانت الزوجة في حالة انهيار تام، لكن في غرفة التحقيقات قرر الرائد كريم البدء بها؛ فأصطحبها أيوب إلى غرفة التحقيقات.

جلست أمامهما وهي بالكاد تراهما من كثرة البكاء، تتلاحق أنفاسها بصرخات مكتومة توحي بأنها ستلحق بزوجها من حزنها وصدمتها، حاولوا تهدئتها لبدء التحقيق؛ وما إن سكنت قليلًا حتى قال كريم:

- البقاء لله يا ...؟

- علياء، علياء أشرف.

- السن؟

- ٣١ سنة.

- العنوان؟

- ٣٥ شارع الأشجار.. القاهرة الجديدة.

- علاقتك بالقتيل ايه؟

وما إن سمعت السؤال حتى انفجرت في البكاء مرةً أخرى، وقالت بصوت مبحوح:

- زوجته.

نظر كريم إلي أيوب نظرة حسم، فتجاوب أيوب معه؛ وقال لعلياء:

- متجوزين من إمتى؟

قالت وهي تحاول تمالك بكاءها:

- سنة وشهرين.

- مفيش أولاد؟

- هو مبيخلفش.

وأكملت البكاء؛ لكنه أقل حدة من ذي قبل، لكن كلًا من أيوب وكريم أصابهما دهشة جعلت كريم يسألها:

- وأنتِ كنتِ عارفة من قبل الجواز ولا بعد ما اتجوزتوا؟

- كل الناس القريبين منه ومن عيلته عارفين من زمان إنه مش بيخلف بسبب حادثة حصلت له وهو عنده ١٣ سنة، هو يبقى ابن خالتي وإحنا مكتوبين لبعض من زمان، من وإحنا في اللفة زي ما بيقولوا.

- وكنتي موافقة ولا مجبرة؟

صمتت وزاغت عيناها كأنها تذكرت شيئًا، ولكن سرعان ما نطقت:

- موافقة طبعًا.

تأكد لدى المحققيْن أن ثمّة خبايا كثيرة في القضية، وقبل أن يبادرها بسؤال فاجأتْهم هي باستكمال حديثها، وكأنها تتحدث عن عالم آخر قائلة:

- الحادثة دي خلّتْه طول الوقت حاسس إنه أقل من باقي أقاربه، بالرغم من كتابة حمايا العمارة باسم علي، ومحدش من ولاد عمه دول ليه فيها أي حاجة، لكن هو أصر إنه يجوزهم في نفس البيت، ويعيّش كل واحد في شقة مكنش يحلم بيها وفرشها ليهم، وكمان يجيبهم يشتغلوا معاه في شركته وياخدوا ٣ أضعاف أي حد شغال معاهم، وعمل أفراحهم على حسابه، وجاب لكل واحد عربية، كان عاوزهم حواليه عزوة علشان محكوم عليه بالوحدة، ولا ليه إخوات ولا هيبقى عنده عيال، لكن هما حسّوا إنه بقى حق مكتسب، افتكروا نفسهم مُلّاك بجد، استغلوه وهو وافق.

وما إن توقفت عن الحديث حتى فقدت وعيها مرة أخرى، حاول أيوب إفاقتها، ثم ذهب بها لمكتب آخر واضعًا معها حراسة خاصة، ثم عاد مرة أخرى لغرفة التحقيقات.

(٤)

رؤيتك للنصف الممتلئ لا تنفي وجود النصف الفارغ

وجد أيوب الرائد كريم وأمامه ظرف مغلق عليه ختم الطب الشرعي، فقال:

- إيه السرعة دي؟ غريبة!

فتح الرائد كريم الظرف وقرأ التقرير بعينيه، ثم تمتم:

- ٨ طعنات متفرقة في القلب والكبد بدقة، ولا توجد علامات أو آثار شجار بجثة القتيل.

سمعه أيوب فأردف:

- كان قاصد قتله، سبق إصرار و ترصد.

- قاتل فاهم هو بيعمل إيه، مش صدفة ولا عشوائي.

- وكان عارف إنه مش هيتلحق، ولا يقدر يستنجد بحد.

- دا قتل غل.

- حصل. هات ابن عمه اللي ساكن في الدور الأول، خلّينا نمشيها بالترتيب.

أمر أيوب العسكري بإحضار الساكن بالطابق الأول، فدخل عليه شاب قصير القامة قليلًا، جسمه ممتلئ بعض الشيء، حليق الذقن، قصير الشعر، تبدو عليه علامات الحزن المصحوبة بالتوتر الزائد، جلس أمامهما؛ فقال الرائد كريم في شدة صارمة:

- اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟

أجابه:

- شريف مصطفى على الحسيني، ٣٣ سنة، ٥ شارع الأشجار القاهرة الجديدة.

- علاقتك إيه بالقتيل؟

- ابن عمي وزي أخويا، الله يرحمه.

- آخر مرة شوفته إمتى؟

- في الشركة قبل ما أمشي؛ كانت الساعة ٤ العصر.

- أنتو شغّالين مع بعض من زمان؟

- أنا وعلي وسامي ومحمود مع بعض من صغرنا، في المدرسة والجامعة والشغل، عمي محمد هو صاحب الشركة في الأصل، قبل ما ينقل ملكيتها لعلي الله يرحمه، وهو صاحب البيت برضو اللي اتجوزنا فيه قبل ما يكتبه باسم علي قبل ما عمي يتوفى من حوالي ٤ سنين كدا.

- وروحت فين بعد الشغل؟

- جبت طلبات للبيت عندي وروحتها، وغيّرت هدومي ونزلت روحت الجيم، ورجعت الساعة ٨ بالليل، ومنزلتش تاني.

قال الملازم أيوب دون انتظار أن ينهي شريف جملته:

- ومراتك؟

نظر شريف نحوه دون فهمه لمغزى السؤال؛ فأوضح أيوب قائلًا:

- مراتك نزلت النهاردة من البيت؟

قال شريف في توتر حاول تخبئته في صوته:

- لا مخرجتش.

أكمل الرائد كريم أسئلته لشريف:

- تفتكر مين اللي قتل علي؟

ابتلع شريف ريقه، الذهول على وجهه كمن صُدم بلوح ثلج في وجهه، فوجه له أيوب الكلام:

- حضرتك مسمعتش السؤال ولا ايه؟

قال شريف وهو يتلعثم:

- معلش، أصل كلمة (قتل علي) دي مش مستوعبها لحد دلوقتي، علي كان مسالم أوي، عمره ما أذى حد، فأكيد اللي قتله ..... .

صمت بشكل مفاجئ؛ وكأنه استوعب ما يقوله أو ما سيقوله، فنظر له كريم في حدة وقال له:

- أيوة.. اللي قتله هيكون قتله ليه؟

أكمل شريف بعد أن تغيرت نبرة صوته لهدوء مريب:

- علشان يورثه.

سأله أيوب مستفهمًا:

- قصدك مراته؟

قال شريف بنفس الهدوء

- هي بتكره إننا مع بعض وفي ضهر بعض، حاولت تقلبه علينا كتير ومعرفتش، خصوصًا إنها عارفة من زمان إنه مش بيخلف، وإن كلنا عارفين، يمكن خافت إنها ماتخدش منه حاجة بعد ما رفض يكتب الشقة اللي هما قاعدين فيها باسمها وبعدها طلبت الطلاق، لكن والدتها أقنعتها بالرجوع؛ زي ما أقنعتها بالجواز من الأول.

سأل كريم:

- يعني هي مش بتحبه؟

- لا، هما مكتوبين لبعض من صغرهم، بس لكن حب لا.

أكمل كريم:

- وهو هيتجوزها ليه لو مش بيحبها؟

- وصية أمه الله يرحمها، قال بنت خالتك مكتوبالك وكلام من دا.

قال كريم:

- تمام تقدر تستنى معاهم برا.

خرج شريف من غرفة التحقيقات، ونظر كريم وأيوب لبعضهما، وتبادلا الملاحظات التى دوناها مما قاله شريف، ثم قال كريم:

- شكلنا قاعدين ومطولين.

- واضح كدا سعادتك.

- افصل الباقي عن بعض، مش عاوز حد فيهم يعرف التاني قال إيه، علشان هنسمع طرب.

- اعتبره حصل.

خرج أيوب ليأمر العسكري بفصل الإخوة وزوجاتهم عن بعضهم البعض، وآمره باستدعاء ساكن الدور الثالث.

(٥)
فاقد الشيء أكثر من يعطيه

كان ضوء الشمس بدأ في البزوغ عندما دخل الشاب ذو الطول الفارع والوزن الهزيل غرفة التحقيقات، وجلس أمام الرائد كريم والملازم أيوب.. سأله أيوب:

- اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟

رد بثقة لا تتناسب مع هيئته:

- سامي محمد علي، ٣٥ سنة، ٥ شارع الأشجار القاهرة الجديدة.

لاحظ كلاً منهما الجمود الذي يجول في صوته، فسأله أيوب:

- إيه علاقتك بالقتيل؟

- ابن عمي.

- إمتى آخر مرة شوفته فيها؟

- في الشركة وهو بيعايرني إنه فاتح بيتي ومجوزني على حسابه، ومسكّني عنده، وبيديني من فلوسه تحت اسم مرتب، أنا أكتر حد بيشتغل في الشركة دي، أكتر منه هو، بس هقول ايه؟ الشركة شركة أبوه والبيت بيت ابوه.

نظر له كريم بعمق وسأله:

- ومسبتش الشركة ليه؟

أجاب بنفس الهدوء:

- وأسيب شقى عمري لمين؟ ليه عشان يضيعه؟ ولا لمراته؟ ولا للبهوات اللي بياكلوا في تعبي وشقايا، أكيد لا.

سأله أيوب وهو يرى كم الحقد في كلامه:

- تفتكر مين اللي قتله؟

رد دون تفكير كمن كان ينتظر ذلك السؤال:

- محمود طبعًا.

دهش أيوب وكريم، وسأله كريم:

- أخوك؟! طب ليه؟ وايه اللي مخليك واثق كدا؟

أجابهما بجملة لم يتوقعاها قط:

- علي اتجوز حب عُمْر محمود، تفتكر محمود هيعديها بسهولة؟! استغل فلوسه اللي بيتنطط علينا بيها واتجوزها، وكمان مقعدها معاه في نفس البيت، كل دا مش دافع يخليه يقتله؟!

رد أيوب بسؤال آخر:

- هي علياء مش بنت خالة علي ومكتوبين لبعض من صغرهم؟!

رد سامي بضحكة كما لو كان متوقع السؤال، وأجاب:

- وتبقى زميلة محمود في الكلية، إحنا آه كنا كلنا في نفس الجامعة، لكن كنا كليات مختلفة، هي ومحمود كانوا سوا، وكانوا بيحبوا بعض جدًا، ومحدش فينا كان مدِّي لموضوع إنهم مكتوبين لبعض وهما أطفال دا أهمية، لحد ما جه علي وقال إن فرحهم الأسبوع الجاي، وإنهم كانوا مخطوبين من طفولتهم، وجه وقت الفرح، وطبعًا علشان عارف إن محمود بيحبها راح عرض عليه يتجوز أميرة السكرتيرة في شركة باباه، وكمان سكّنه في نفس البيت معاه علشان يبقى قدام عينه، يقهره بيها وبفلوسه، مش عارف إنه هيجي يوم ويقتله.

وأكمل كلامه كمن وجد فرصة مناسبة للانفجار:

- كان فاكر نفسه هيمشّي الكون على هواه، يجوزنا بمزاجه، يسكّنا بمزاجه، يعايرنا بمزاجه، كل حياتنا تمشي بمزاجه، كل دا علشان أبونا مات وإحنا

صغيرين وأمنا راحت اتجوزت، وإحنا فضلنا مع جدي وعمي يتحكموا فينا، وحتى علي اللي أصغر مني أتعلم منهم إزاي يتحكم و يأمر، يستاهل يموت ألف مرة، وكل مرة أبشع من اللي قبلها.

وصمت فجأة كمن انتهى من الحديث للأبد، فنظر له الرائد كريم ثم نظر للملازم أيوب؛ الذي قال وهو يستجمع أفكاره:

- اتفضل استنى برا.

خرج من الغرفة تاركاً المحققيْن غارقيْن في تفاصيل ليس لها أول أو آخر، فيقررا استدعاء محمود، ثم ترتيب الأوراق قبل استجواب الزوجات، وتأكد لديهما شعور أن كل ما حدث لم يكن سوى البداية فقط.

(٦)

أشاهدكم من سجن عقلي، حتى لا أعدم

دخل غرفة التحقيقات شاب رياضي، ممشوق القوام، مهندم الهيئة رغم عدم النوم منذ الليلة الماضية وقرب ظهيرة اليوم الجديد، يملك من ثقة النفس قدرًا لا بأس به، جلس أمام المحققيْن بهدوء تام، فسأله الملازم أيوب:

- اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟

أجاب بثبات:

- محمود محمد علي، ٣٤ سنة، ٥ شارع الأشجار القاهرة الجديدة.

أكمل أيوب الاستجواب سائلًا:

- إيه علاقتك بالقتيل؟

- ابن عمي.

- إمتى آخر مرة شوفته؟

- امبارح الصبح، أصلي مرحتش الشغل النهاردة.

- قصدك أول امبارح الصبح؟

- معلش الصدمة ملغبطة معايا الأيام، أكيد حضرتك فاهمني.

- ومرحتش الشغل ليه يوم الجريمة؟

- كنت واخد إجازة لأسباب خاصة.

- إيه الأسباب الخاصة؟

- مراتي كانت تعبانة ورُحنا للدكتور طلعت حامل فخرجنا نحتفل.

- تفتكر مين اللي قتل علي؟

- معرفش.

- ليه مش بتشك في حد؟

- معرفش حد علشان أشك فيه.

فاجأه كريم بسؤال مباغت:

- إيه علاقتك بعلياء؟

اصفرّ وجه محمود من السؤال غير المتوقع، حاول استجماع قوته وثباته، فخرج صوته مهزوزًا، قال:

- مرات ابن عمي.

فسأله أيوب:

- بس؟

أشار برأسه إيجابًا دون أن يصدر صوتًا، فأمره كريم أن ينتظر خارجاً.

خرج محمود مبهوتًا من التحقيق، يجول في خاطره ألف سؤال وسؤال بعد سؤاله عن علاقته بعلياء، من الذي أخبرهم؟ من يحاول إلصاق الجريمة به؟ يستحيل أن يكون أحد إخوته؟ هل علياء نفسها؟ ظل يكرر الأسئلة دون إجابة تُهدّئه.

على الجانب الآخر في غرفة التحقيقات.. جلس كريم وأيوب يتناقشان في أقوال الإخوة الثلاث، وكيف سيُستكمل التحقيق، يحققان منذ أكثر من ١٥ ساعة، والمشتبه بهم دون نوم منذ ليلة كاملة على الأقل.

قرر كريم استكمال التحقيق مع الزوجات الثلاثة، والتأكد من صحة علياء لاستكمال التحقيق معها، ثم عودتهم جميعًا للعقار مع فرض حراسة مشددة تمنعهم من خروج أو دخول أي شخص؛ حتى تقل دائرة الاتهام مبدئيًا.

(٧)

كثرة المعرفة توجع القلب، وتغيب النوم

خرج محمود من غرفة التحقيق، ولم يخرج من عقل المحققين، فطالبا زوجته بالدخول للتحقيق. دخلت عليهم فتاة شابة صغيرة السن، لكن لوحظ عليها علامات وإصابات متفرقة، وتعاني حالة من التعب لا تشبه تعب الحمل؛ مما أثار تساؤلات في عقل الرائد كريم، لكنه أجّلها لحينها.

وجّه الملازم محمد أيوب الكلام لها بعدما جلست أمامهم، فسألها:

- اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟

ردت بصوت يقاوم البكاء والتعب:

- أميرة سالم، ٢٤ سنة، ٥ شارع الأشجار القاهرة الجديدة.

- تعرفي إيه عن علي؟

- ابن عم جوزي، وبيشتغلوا مع بعض في شركة علي، وساكنين في نفس البيت، هما الدور الثاني واحنا في الدور الرابع.

- علاقته بيكم كانت عاملة إزاي؟

- كانت علاقة طيبة، هو محترم و كويس ومش بيخلينا عاوزين أي حاجة.

- ومراته؟

نظرت له في حزن، وقالت بهدوء:

- مليش علاقة بيها، محمود كان مانعني من الكلام معها، ولو سلمت عليها صدفة كان بيزعل وأنا بخاف على زعله.

وفرت منها دمعة حاولت إخفاءها بسرعة حتى لا يلاحظها المحققين. سأل كريم متظاهراً بتجاهل دمعتها:

- كنتوا فين وقت الجريمة؟ بمعنى أدق من بعد الساعة ٨ مساءً لحد ١٢ صباحاً؟

- كنا في البيت.

- وآخر مرة محمود راح الشغل إمتى؟

- راح في معاده عادي ورجع الساعة ٤ العصر في معاده، واتغدى ونزل راح لصحابه في الكافيه زي كل يوم، ورجع الساعة ١٠ ونام على طول.

- إيه سبب العلامات اللي على إيدك و وشك دي؟

اصفرّ وجهها، وفرت الدموع بكثافة من عينيها دون صوت، حاولت استجماع قواها وقالت:

- عملت حاجة محمود مانعني منها من غير ما أقصد؛ فزعل مني، بس اتصالحنا خلاص.

سأل أيوب مسرعًا:

- مدام أميرة، حضرتك حامل؟

انهارت في البكاء، وقالت بصوت مبحوح:

- كنت، كل شيء نصيب.

نظر أيوب لكريم، ثم طالباها بالانتظار خارجًا، وما إن خرجت حتى عم الصمت بين المحققيْن حتى طُرق الباب، ودخل أحد أفراد الأمن وهو ممسك بتقرير التحريات عن المجني عليه، طلب منه الرائد كريم ترك التقرير والمغادرة.

أمسك الملازم أيوب التقرير وبدأ في سرد محتوياته:

- الاسم: علي محمد علي الحسيني، السن ٣٦ عام، رئيس مجلس إدارة شركة الحسيني للتعمير، ورث الشركة عن والده عقب وفاته، ليس لديه إخوة، رياضي، لاعب سباحة سابق وحائز على بطولات دولية، ليس له علاقات نسائية أو أي شيء غير أخلاقي، .....

قال كريم دون أن يكمل أيوب قراءة:

- يعني تقرير التحريات ماجبش معلومة جديدة

- لا فيه.

نظر الرائد كريم للملازم أيوب باهتمام؛ فقال الملازم:

- يوم الجريمة خرج من الشركة قبل ميعاده المعتاد، ولم يخبر أحدًا عن خط سيره.

صاح الرائد كريم:

- حلو جدًا، هات خط سيرة باستخدام حركة موبايله، لما نشوف كان فين؟ ودخّل زوجة شريف، آه صح.. هي وزوجة سامي إخوات صح؟

- تؤأم.

- حلو، دخلها.

(٨)

من أراد الكمال، مات ناقصًا

كان المساء قد بدأ يعم بظلامه على أنحاء القاهرة، ولا يزال التحقيق الأوّلي قيد التنفيذ، وبينما كان المحققان في انتظار دخول مدام سالي، إذ بفرد الأمن يدخل حاملًا (كارت) خاص بـالمستشار سعيد المنصور، محامي شركة الحسيني للتعمير، سمح الرائد كريم له بالدخول وتأجيل التحقيق مع مدام سالي الآن.

دخل المحامي الخمسيني من الباب بهيئته الوقورة، وبدلته التي يتخطى ثمنها مبلغ مكون من ٤ أرقام، وعرف نفسه للرائد كريم قائلًا:

- المستشار سعيد المنصور، محامي أستاذ علي والمسؤول عن الشئون القانونية في شركة الحسيني.

رد الرائد كريم وهو يحاول تمالك نفسه من الصداع وفرط القهوة التي شربها منذ وصوله القسم وبدء التحقيقات:

- أهلاً بيك.

رد المستشار وهو يخرج ظرفاً من حقيبته:

- مش هاخد من وقت جنابك كتير، أنا بس قولت يمكن الوصية اللي كتبها أستاذ علي تفيدكم في معرفة مين اللي عمل فيه كدا.

دهش الرائد كريم، وسأل:

- وهو كتب وصيه ليه؟! دا عنده ٣٦ سنة، كان عارف إنه هيتقتل أو هيموت يعني؟

قال المحامي وهو يحاول رسم اللا مبالاة على ملامحه:

- معرفش، اللي أعرفه إنه جه من شهرين عندي في المكتب بليل بدون ميعاد وكتب الوصية قدامي، وساب الظرف مفتوح، وبلّغني أسجلها في الشهر العقاري، وطبعًا لعلمي بيها قولت يمكن تفيد في التحقيقات، أستأذن أنا.

وهمّ بالانصراف قبل أن ينطق الرائد كريم أو الملازم أيوب تاركًا الظرف أمامهما، وهما ينظران له كأنه قنبلة على وشك الانفجار بينهما.

فتح الرائد كريم الظرف؛ وجد ورقة تحتوي جملتين فقط: "علياء ومحمود لا يرثا في مالي شيئًا، باقي أملاكي توزع لشريف وسامي وزوجتيهما وسالي بالتساوي".

- يعني هو عارف إن في حاجة بين علياء ومحمود؟

هكذا نطق أيوب في ذهول، فرد كريم:

- المفروض إن مفيش علاقة بينهم دلوقتي، ومفيش سبب ملموس لوصية زي دي؟ وليه يكتب وصية أصلاً؟ القضية دي كل جملة فيها يا سرّ يا مفاجأة، خلينا نخلص التحقيقات ونمشيهم، وبعد كدا نشوف هنعمل ايه؟

- معاك حق يا فندم، دخّل مدام سالي يا ابني.

دخلت سالي في توتر وخوف زائد، كانت فتاة محجبة، محتشمة، يظهر على ملامحها قلة النوم والعصبية، جلست أمامهما وقالت في رعب:

- هو مات فعلًا؟

أجابها أيوب وكأنه لم يسمعها:

- اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟

- "سالي أسامة، ٢٦ سنة، ٥ شارع الأشجار القاهرة الجديدة، هو مات بجد؟

رد عليها الرائد كريم قائلًا بهدوء:

- آه مات، علاقتك بيه كانت إيه؟

- ابن عم جوزي، وأكتر من أخويا.

وانفجرت في البكاء دون توقف، لكن شعر الملازم أيوب بشيء غير مريح في بكاءها؛ فسألها:

- كنتِ فين وقت الجريمة؟

توقفت عن البكاء وكأنها محاولة التذكر:

- في شقتي، بتفرج على التلفزيون.

- وجوزك؟

- كان معايا، جاب طلبات البيت بعد الشغل، ونزل راح الجيم، ورجع الساعة ٨م ومنزلش تاني.

- علاقة جوزك بالمجني عليه كانت عاملة إزاي ؟

- كان أقرب حد ليه، بيخاف عليه من أي حد، شريف أكتر حد عارف علي اتظلم قد إيه، وإن كل اللي حواليه بيحسدوه على حياته من برا، لكن محدش عارف من جوة كانت حياته دي عاملة إزاي.

- كانت عاملة إزاي؟ ومظلوم في ايه؟

قالها الرائد كريم كمن أمسك طرف خيط يستطيع السير عليه، فردت سالي منطلقة دون تردد:

- اتظلم إنه مبيخلفش، إنه اتجوز واحدة مش بيحبها وعارف إنها بتحب غيره، إن معندوش إخوات وبيحاول يعمل عزوة لنفسه، إنه بيحاول يرضي سامي اللي طمعه خلاه يغدر بعلي أكتر من مرة في الشغل؛ وعلي يسامحه لإنه مش عاوز يخسره، ويفضل يلم وراه ويقول بكرة هيعقل ومش هينفع أتخلى عنه.

أكمل الرائد استجوابه بعدما أمسك بطوق النجاة التي ألقته إليه سالي:

- غدر بيه إزاي؟

- اللي عرفته من شريف إن سامي باع ملف مناقصة كانت الشركة داخلاها لشركة منافسة، ولما حققوا في الشركة عرفوا إن دي مش أول مرة يعملها، وساعتها علي أمر إن المناقصات تكون مع شريف، وسامي يبقى مسؤول عن المقاولين، خصوصاً أننا في الفترة دي فتحنا باب التدريب في الشركة و قبلنا اتنين في القسم الخاص بالتعامل مع المقاولين واحد أسمه مهدي و التاني معروف لكن مفيش شهر و أتخانق مع معروف و مجاش تاني، وبعدها عرف إن سامي بياخد فلوس من المقاولين علشان يمسكوا شغل، واللي مبيدفعش مبيشتغلش، فنقله قسم العلاقات العامة قبل الـــ..... .

صمتت فجأة، وبدأت في البكاء من جديد، فقال الرائد كريم:

- قبل الجريمة بقد إيه؟

- بيومين، الله يرحمه كان فاكر إنه قادر على الطمع.

- تفتكري مين اللي قتله؟

- مقدرش أظلم حد، بس اللي قتله حد عاوز ياخد حاجة مش بتاعته وهو منعه.

- سامي؟

- الله أعلم.

طلب كريم منها الانصراف، واستدعى أختها شذى زوجة سامي، وقد بدأت علامات التعب والصداع تتزايد عليه، حاول التماسك لإنهاء ذلك اليوم الذي يرفض الانتهاء.

دخلت شذى غرفة التحقيقات، فتاة ممتلئة الجسد، طولها متوسط، شعرها الأسود يصل لمنتصف ظهرها، ملامحها تشبه قليلًا سالي، ليستا متطابقتين ولا مختلفتين، تدرك من النظرة الأولى أنهما أختان، ولكن لا تعلم أنهما توأمتان، جلست أمامهما فبادر أيوب بسؤالها:

- اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟

- شذى أسامة، ٢٦ سنة، ٥ شارع الأشجار القاهرة الجديدة.

- علاقتك إيه بالمجني عليه؟

- ابن عم جوزي، وهو اللي مجوزني سامي.

كان صوتها يمتاز بالجمود في إجابتها، لا يبدو عليها حزن ولا خوف ولا توتر، وكأنها في مقابلة عمل، لا تحقيق رسمي، أثار ذلك الملازم أيوب؛ فسألها:

- علاقة علي بسامي كانت عاملة إزاي؟

صمتت برهة وقالت:

- عادي.

- يعني إيه عادي؟

- ساعات متفقين وساعات متخانقين، زي أي أخوات، عادي.

- خلافاتهم كانت كتير؟

- كلها بسبب حاجات في الشغل معرفهاش.

- هل الخلافات دي كانت بتوصل لاشتباك بالإيد؟ ضرب يعني؟

عم الهدوء على المكان، وكأنها عادت لذكرى ما بداخلها، فكرر أيوب عليها السؤال، وبدأ التوتر يظهر عليها، فقالت بصوت خائف:

- هي مرة اللي حصل فيها كدا.

- إمتى؟

- الشهر اللي فات، وساعتها علي نقَل سامي للعلاقات العامة في الشركة.

- ورد فعل سامي كان إيه؟

- اتضايق وفضل يقول كلام كتير، بس الموضوع عدى و خلاص.

- محصلش بينهم أي خلاف تاني؟

- حصل بس مش خناقة، شوية زعل.

- إمتى؟

- يوم الجريمة، علي مشي بدري من الشركة وساب سامي في شغل كتير لحد الساعة ٩، وقتها سامي أول ما روّح اتصل بعلي وفضل يزعق في التليفون، ودخل نام بعدها، وصحي على صوت علياء وهي بتصرخ ساعة ما شافت علي الله يرحمه.

نطق كريم:

- تفتكري مين اللي قتله؟

- معرفش، بس أكيد مش حد مننا.

اعتدل كريم في جلسته وسألها:

- اشمعنا؟

ردت بهدوء مرة أخرى:

- علي هو اللي فاتح بيوتنا، إزاي حد فينا يفكر يقتله وإحنا عايشين في بيته واجوازنا ولاد عمه وشغالين معاه؟! آه ممكن تحصل خلافات بينهم بس قتل! لا صعبة.

سألها كريم:

- تعرفي إيه عن محمود؟

ابتسمت نصف ابتسامة تنمّ عن فهمها لمعنى السؤال جيدًا، وقالت:

- أخو جوزي، وكان زميل علياء في الجامعة، واا...

قاطعها كريم قائلًا:

- علاقتك بيها إيه؟

- صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي.

ضحك كريم لأيوب، وأذن للجميع بالذهاب للمنزل، مع فرض حراسة على البيت، ومنع دخول أو خروج أحد دون إذن من الرائد كريم شخصيًا. وطلب من الملازم أيوب الانصراف أيضًا للمنزل بعدما دقت الساعة ١٢ صباحًا، ليرتاحا ويعودوا في الصباح لمسرح الجريمة مرة أخرى.

(٩)

اسمع ضوضائك الداخلية لتنعم بالهدوء

وصل الرائد كريم إلي منزله الساعة ١ صباحاً، بعدما مرّ لشراء بعض الطعام والمسكّن لصداعه، دخل شقته الخالية من كل شيء عدا كرسي هزاز في الصالة وغرفة نوم كاملة، بينما لا يوجد أي أثاث آخر في الشقة.

فهو يعيش بمفرده منذ أن تركته زوجته قبل عامين، بعد زواج ٨ أعوام كاملين رزقا فيه بولد واحد، لم يعشْ معهما سوى عام واحد قبل أن يسقط من أعلى السرير على رأسه، ليصاب بنزيف في المخ، ولم يستطع الأطباء إنقاذه، عاشا الصدمة معًا، لكنها قررت في ذكرى ميلاده أن تغادر كل شيء، و كل مكان، وتختفي تاركة رسالة تحتوى على كلمة واحدة "وداع"، لم يبحث عنها؛ فهي من قررت الرحيل، أخلى بعد ذلك الشقة، وغرق في عمله، فتوالت الترقيات عليه حتى أصبح الآن سيادة الرائد كريم البنهاوي ذا الملف المشرق، والذي يستدعي الفخر في وزارة الداخلية بأكملها.

دخل ليستحم ثم خرج، وجلس على كرسيه وبيده كوب قهوة، لا يعلم ترتيبه بين ما تناوله خلال الـ٢٤ ساعة الماضية، وبيده الأخرى سيجارته الإلكترونية التى لا تفارقه.

أغمض عينيه، وكانت صورة ولده وزوجته أول ما جال أمام بصيرته، فحاول تجنبها حتى لا يدخل في نوبة بكاء جديدة، فهو منهك من العمل، وجسده لا يتحمل إنهاك البكاء الآن.

حاول استدعاء الجريمة مرة أخرى، والتركيز في تفاصيلها لعلّها تبعد عنه صورة أسرته المنتهية، ولكن كان للنوم السلطة الأعلى، فسحبه النوم لهدوء قلبه بعيدًا عن ضوضاء عقله لعلّ جسده يرتاح.

أشرقت الشمس مسرعة، تلاقي آشعتها وجهه عبر شباك الصالة الكبير الذي نام أمامه، فاستيقظ وهو يشعر كمن غاب في نومه كأهل الكهف، شعر بنشاط وراحة لا تناسب نومته على الكرسي الخشبي الهزاز.

توجهه للحمام ثم غير ملابسه بسرعة، وهو يمسك هاتفه ويتحدث إلى الملازم أيوب الذي أجابه وهو لا يزال نائماً بصوت حالم:

- صباح الخير سعادتك.

فضحك كريم وقال:

- قصدك تصبح على خير، قوم يا محمد بيه ورانا شغل، الساعة ٨ الصبح، أنا نص ساعة وهكون في مسرح الجريمة، متخلنيش أستنى.

عم هدوء في المكالمة، فأكمل كريم بصوت أعلى:

- سامعني يا محمد بيه.

انتفض محمد من مكانه وهو يقول:

- حاضر حاضر.

فضحك كريم مجددًا:

- صباحك فل سلام.

وأغلق الخط ليكمل كريم الرد بينه وبين نفسه ولكن بصوت مسموع:

- هيجي منين الفل والواحد صاحي على جريمة قتل؟!

خرج محمد من غرفته وجد والدته تعد الفطار، ووالده يقرأ الجريدة في الشرفة كعادته، شهقت والدته عندما رأته مستيقظ قائلة:

- أنت لحقت تنام علشان تصحى؟

ليرد عليها بيأس، نائمًا يرفض الاستيقاظ:

- رايح أكمل جريمة القتل بتاعت إمبارح يمكن تخلص.

لتقول أمه في شجن:

- كان مالنا بالشرطة والجرايم بس.

ليرد زوجها قائلًا:

- مش أحسن ما يبقى عاطل ولا مدرس ولا ديليفري، أهو اتخرج وبقى ظابط محترم، بطلي خوف ودلع فيه علشان ينشف بقى ويترقى.

نظرت له الأم بحنق شديد محاولة تمالك أعصابها وهي تتمتم:

- يا فرحتي بالظابط لو اتصاب.

ليرد محمد بعد خروجه من الحمام، وهو معتاد على تلك المشاجرة اليومية بين والديه منذ دخوله أكاديمية الشرطة التي لم يردْها يومًا، لكنها كانت حلم والده لابنه الوحيد على فتاتين متزوجتين، ومسافرتين مع زوجيهما إلى إحدى الدول العربية

- دعواتك يا حبيبتي هي اللي هتحفظني، متخافيش عليا أنتِ.

ثم لثم رأسها ودخل غرفته ليبدل ملابسه، ثم نزل مسرعًا إلى العقار مسرح الجريمة.

وصل محمد بعد وصول كريم بحوالي ربع ساعة، وجده متكئًا على سيارته مقابل العقار يتأمله في هدوء، عقار مُكوّن من ٤ طوابق، مبني على طراز حديث، يحتوي كل طابق على شرفة كبيرة تحيط الواجهة، وتلّف إلى الجانب الأيسر من العقار، يحيطه حديقة صغيرة خاصة به، بها أشجار متوسطة الحجم، وسلّم، وباب منفصل لشقة الدور الأرضي؛ والتى لها أيضًا باب في مدخل رئيس للعقار.

بمجرد رؤية كريم لأيوب قال:

- شكل البيت حلو من برا، لكن نفوس اللي ساكنينه فيها سواد.

نظر له أيوب ثم سأله:

- إزاي مانع مراته من الورث وهو بيجهز لها مكتب عقارات في نفس البيت؟! وليه مشغلهاش معاه في الشركة بدل ما يعملها مكتب منفصل؟!

أجابه كريم دون أن ينقل نظره عن العقار قائلًا:

- دا أول سؤال هنطلع نسأله لمدام علياء دلوقتي.

(١٠)

تشويش القلب يعمي العين

.....

وتشويش العقل يبدأ من الأذن.

بمجرد تخطيهم أولى درجات السلم، لاحظ الرائد كريم شيئًا لامعًا على الدرج، بالاقتراب منه وجده انسيال حريمي ملطخ بقطرات دماء لم يلاحظه فريق البحث الجنائي، تحفظ عليه الرائد في الأكياس المخصصة للأدلة واستمر في الصعود حتى وصل للطابق الثاني.

حدسه الشرطي أشعره أن هناك أشياءً لم تكشف بعد على سلالم تلك البناية، فطلب من الملازم أيوب التواصل مع فريق البحث الجنائي وإحضارهم، وفحص السلالم والسطح دون ترك أي تفاصيل مهما بلغ صغرها، على أن يدخل هو لعلياء ليستكمل استجوابه لها في شقتها وفحصها بنفسه.

وصل رجال البحث الجنائي، وفُرضت الحراسة على أبواب الشقق لمنع الخروج منها، وما إن بدأوا في العمل حتى عثروا على بعض القطرات من الدماء، بعضها تم مسحه؛ والآخر لا يزال موجودًا ممتدًّا حتى سطح العقار، ومع تتبعها على السطح العقار تم الوصول إلى سلاح الجريمة (سكين مطبخ مخصص لتقطيع اللحوم) مدفون في مزهرية من مزهريات الورود الموجودة على الروف؛ تحفّظ عليها الفريق، وتواصل الملازم محمد مع الرائد كريم مصوراً له الأدلة، وأخبره بالمستجدات، وأنه تم إرسال السكين إلى الطب الشرعي لإثبات علاقتها بالجريمة؛ ولكن لم يعثر على بصمات عليها.

تلقى الرائد كريم المستجدات، وكانت علياء جالسة أمامه متشحة بالسواد، وعيناها في حالة من التورم بسبب البكاء، لكن كانت أهدأ من حالتها عند التحقيق الأول.

لم يبدِ الرائد كريم أي شيء حول الأدلة؛ ولكن أخبر الملازم محمد أن يأتي بالفريق للبحث في الشقة، وبالفعل.. دقائق وكان الملازم وفريق البحث على الباب، أمرهم بالتفتيش الدقيق، فطلب الرائد كريم من أيوب بالدخول للمطبخ والبحث عن سكين مشابه للسكين الذي عُثر عليه، وبعد تفتيش وبحث لم يعثروا على شيء، سأل الرائد كريم علياء عن الانسيال قائلًا:

- إحنا لقينا الانسيال دا على السلم هو بتاعك؟

تبدلت ملامحها في حيرة وقلق، وقالت بصوت خافت يكاد لا يسمع:

- آه بتاعي.

ثم حاولت استدراج الكلام بصوت أعلى:

- بس كان ضايع من أسبوع.

وجه الملازم أيوب لها بصره وقال:

- أسبوع؟ وضاع إزاي؟

حاولت أن تجد ما تقوله، لكنها لم تعثر سوى على كلمات مبعثرة:

- في فرح... وقع... يمكن علي لقاه بعد كدا.

أسكتها الرائد كريم بنظرة حاسمة أبلغتها أنه لا يصدق ما تقول، وأنها أصبحت المشتبه به الأول في قتل زوجها، تركها في صمت لا ينتهي، وتوجها معًا للبحث عن سكين مشابه في باقي الشقق، ولكن لم يعثر فريق البحث على شيء، وبمرورهم مرة أخرى من السطح سمعا حوارًا دائرًا في شقة محمود بينه وبين زوجته أميرة:

- كفاية ضرب بقى، أنا زهقت منك و من عيشتك دي.

- أنتِ لسه شوفتي حاجة؟ إزاي تنزلي الحمل تاني؟ ومن ورايا.

- أنت هتكدب الكدبة وتصدقها؟! أنت أول ما شكيت إني حامل ضربتني وبهدلتني لحد ما راح، زيه زي اللي قبله، لما أنت مش عاوز خلفة ومش عاوزني أصلًا مكمل معايا ليه؟

- مزاجي، وأنا قولت في التحقيق إنك حامل وهتفضلي قدامهم حامل.

ضحكت باستهزاء بصوت مرتفع وقالت:

- وأنا قولتلهم إني مش حامل هههههههههه.

وإذا بصوت صفعة مرتفع، تبعه صوت لكمات وصريخ ضرب وهي تقول:

- خليهم يقبضوا عليك دلوقتي.

لم تكمل كلمتها حتى كسر الملازم أيوب باب الشقة، وقُبض على محمود، وطلب الإسعاف لأميرة التي كانت تنزف من كل مكان، ووقتها تم تفتيش شقة محمود للمرة الثانية لثقتهم في وجود شيء لم يعثروا عليه بعد؛ وقد كان.

عثروا على يد واحدة من قفاز جلدي، ولم يعثروا على اليد الأخرى، حُرِّزت كدليل عليه، وتم اصطحابه للقسم بتهمة ضرب زوجته وإجهاضها واشتباه في قتله لعلي.

لم يتوانَ الرائد كريم التحقيق في محضريْ الضرب والإجهاض، بل تركهم لضابط آخر، لكن استجوبه بخصوص القفاز، فأبلغه:

- دا علي كان جايبه وهو مسافر روسيا، جاب منه ٤ لكل واحد فينا واحد، بس أنا مستخدمتوش، ومعرفش راحت فين.

تركه الرائد كريم وجلس في مكتبه للحظات، قبل أن يصله خبر إخلاء سبيل محمود، بعدما تنازلت أميرة عن البلاغ مقابل الطلاق، وهذا ما قد حدث للتو، ولكن بعد أقل من ساعة رن هاتفه مرة أخرى من الملازم محمد يخبره:

- علياء قتلت محمود أول ما دخل البيت وهو طالع الشقة، لازم تيجي سعادتك بسرعة، إحنا متحفظين عليها.

(١١)

الخيانة والقتل.. وجهان لـــ.....

(أكملها أنت)

وصل الرائد كريم للعقار وكان الليل قد حل، فها هي الساعة تدق التاسعة مساءً، وبمجرد دخوله وجد الدماء على درجات السلم؛ وكأنها تدفقت من عبوة كالماء من أعلى، تبعها حتى وصل إلى الطابق الثاني، وجد محمود ملقى على الأرض والسكين تشق قلبه غارقًا في دمائه، وعلياء في حالة صدمة متجمدة في يد العساكر، عيناها مثبتتان على محمود لا يتحركان.

بمجرد دخول علياء غرفة التحقيقات مرة أخرى صرخت قائلة:

- أنا اللي قتلت محمود، لكن مقتلتش علي، أنا خنت علي لكن مقتلتوش، محمود السبب، هو الشيطان، وسوسلي لحد ما خونت علي، هو اللي قتل علي، هو اللي قتله.

وما إن انتهت جملتها حتى سقطت كجثة بلا روح في أرض الغرفة، طلب كريم لها الإسعاف وتم نقلها للمستشفى، وتبين أنها في حالة أنهيار عصبي حاد، ولن تستطيع التحدث لعدة أيام.

وها هي الساعة تعلن بداية يوم جديد؛ إنها الثانية عشر صباحاً، لا يزال الرائد كريم غير مقتنع أن علياء لا يد لها في قتل علي، رغم أعترافها بقتل محمود وثبوت الجريمة عليها، وإن كانت تخشى العقوبة فهي ستعدم في النهاية، قطع شروده في هذه اللحظة رسالة وصلت هاتفه:

- السكينة عليها دم القاتل والمقتول، المقتول علي، والقاتل سامي".

نظر للرسالة في حالة ذهول، ومن الواضح أن الرسالة تم إرسالها من برنامج على حاسوب، وليس من هاتف محمول، طلب مباحث الإنترنت لتحديد

موقع الإرسال سريعًا، وطلب من محمد التواصل مع الطب الشرعي وجلب تقرير السكين في أسرع وقت، كما أمر بضبط وإحضار سامي؛ الذي ما إن دخل غرفة التحقيق حتى كانت علامات الحزن حقًا بادية على وجهه، فالمقتول الجديد هو أخوه، وكأنه بدأ يدرك أن الأربعة صاروا اثنين، والله أعلم بالقادم.

بدأ الرائد كريم سؤاله بطريقة مباشرة:

- جالنا رسالة من مجهول بتقول إن أنت اللي قتلت علي.

وصمت بعدها متفحصاً رد فعله على ما سمعه، لكنه وجد هدوءًا وضحكة تنم عن يقين أن هناك خطأ ما، وقال:

- هو أكيد من أقوالي في التحقيق واضح لحضرتك إني بكره علي جدًا، لكن عمرها ما توصل بينا للقتل أبدًا.

أكمل الرائد كريم كلامه:

- على العموم أنت هتفضل هنا لحد ما تقرير الطب الشرعي يطلع، ونعرف الدم الموجود على السكينة متطابق معاك ومع علي ولا لا، نسيت أقولك إن الرسالة بتقول إن السكينة عليها دم القاتل والمقتول.

ارتاحت ملامح سامي بعد سماعه تلك الجملة، وشعر بثقة كبيرة أحسها الرائد كريم، ثقة توضح أنه لم يقتل علي؛ لكن هناك من يريد التخلص منهم جميعًا، وإن كان ذلك الشعور حقيقيًا، فلماذا لم يمس شريف ضرر حتى الآن؟

لم يكد ينهي الرائد كريم تفكيره حتى دخل عليه الملازم محمد طالبًا التحدث منفردًا على وجه السرعة، فخرج معه وبدأ الملازم محمد في إبلاغه:

- في هجوم حصل على شريف، حد ضربه بعيار ناري من شباك المطبخ، بس الرصاصة جت في كتفه، والقوة بلغوني، وتم نقله على المستشفى، أظن سعادتك كدا وضحت، في حد عاوز يخلص من الأربعة مرة واحدة.

- عرفت الرسالة اللي جتلي موقعها فين؟

- للأسف الجهاز اللي اتبعتت من عليه سارق VPN من برا، مختار إنه جاي من أمريكا، فصعب نعرف موقعه في مصر.

- كدا بندور على حد فاهم هو بيعمل إيه كويس، وفاهم في الكمبيوتر كويس كمان، الساعة تسعة الصبح تكون موجود في شركة الحسيني، عاوز استجواب كل الموظفين، ومراجعة كاميرات المراقبة قبل الحادثة بيومين لحد النهاردة، اعرف علاقتهم بعلي وأولاد عمه عاملة إزاي؟ وهما شايفينهم إزاي؟ ولو في أي خصومة بين الشركة وأي حد من اللي بيتعاملوا معاه؟ ومتنساش عاوز تفريغ كاميرات المراقبة حوالين البيت من كل الجهات.

- أوامر سعادتك، بس في حاجة كمان.

- قول.

- الدم اللي على السكينة نفس فصيلة سامي لكن مش متطابق مع DNA بتاعه.

- يعني اللي عاوز يلبسه الجريمة حاسبها صح أوي، وفاهم كل خطوة كويس، تمام. نفذ اللي قولتلك عليه الصبح، روح ريّح ساعتين علشان، بكرا هيبقى طويل وأنا هروح لعلياء المستشفى، لازم تتكلم.

- حاضر يا فندم.

غادر كلاً منهم إلى وجهته، ما إن وصل كريم المستشفى حتى وجد الطبيب المسئول عن علياء أمامه، أخبره ألّا جديد في حالتها سوى أنها استيقظت، ولكن فاقدة النطق، ترفض إبداء أي ردة فعل.

أبلغه كريم بضرورة عودة قدرتها على الحديث في أقرب وقت، ثم توجه إلى الغرفة التي يوجد بها شريف، وفهم من طبيبه أن الرصاصة كانت تستهدف القلب، لكنها أصابت الكتف بانحراف واضح، يؤكد أن من أطلق النار ليس بمحترف، وأنه تم إرسال الرصاصة للطب الشرعي، وحالة شريف مستقرة، ويمكن استجوابه في اليوم التالي.

غادر كريم المستشفى وهو يشعر أن المجرم يريد الانتقام لا المال.

كان محمد قد وصل منزله مع نور الشمس الذي بدأ في الشروق، فالساعة السادسة صباحًا، دخل وجد والدته تقرأ القرآن وتدعي له أن يحفظه الله من شر وظيفته. تبسّم رغمًا عنه، ذهب وقبّل رأسها ويدها، ودخل إلي غرفته ملقيًا نفسه على السرير بأعين ترفض النوم، معيدًا كل تفاصيل القضية أمامه في ترتيب جديد، فشعر أن القاتل لا يريد سوى الانتقام، وأن ما يحركه هو الحقد فقط، فقرر أنه سيبلغ الرائد كريم بذلك بعد الانتهاء من استجواب الموظفين، ولكن عليه الآن أن يستحم، و يجهز نفسه لليوم الذي لم ينتهِ ليبدء غيره.

(١٢)

خطواتك هي التي تحدد نـهايتك

كانت إصابة شريف هي القشّة التي شعر الرائد كريم منها بحل اللغز، بمجرد أن وصلته تفريغات الكاميرات المحيطة بالعقار وجد في إحداها شخصًا يتعمد إخفاء وجهه وملابسه، من النوع المحايد؛ فلا تدرك هل هو رجل أم امرأة، يرتدي قبعة تخفي الشعر، ونظّارة لإخفاء أكبر قدر من ملامح الوجهه، يتردد في أيام متعاقبة على العقار الخلفي لمسرح الجريمة.

أمر الرائد كريم أحد معاونيه بالتحري عن ذلك الشخص؛ فلم يتعرف عليه أحد، لكن بالصدفة قال أحد الجيران إن هناك شقة مُغلقة في ذلك العقار، هاجر أصحابها لكندا عند ابنهم منذ زمن، ولكنه سمع صوتًا فيها منذ أيام، ظن أنه قد يكون حيوان ما داخلها.

أصدر أمر بفتح الشقة وكانت المفاجأة.. الشقة من الطراز القديم، تحتوي على أنتيكات بكل مكان، لا تتناسب مع حداثة العقار والحي بأكمله، لكن وضح أنها ملك لزوجين تخطيا الستين من العمر، وهما منذ عشرة أعوام مع ابنهم الوحيد بإنجلترا، ولم يعودا قط، وانقطعت أخبارهما، وأن الشقة لم تُفتح، ولا يدخلها أحد منذ سفرهم.

وبتفتيش الشقة عُثر على فارغ رصاصة من نفس النوع التي أصيب بها شريف، وأن الشباك الخاص بالحمام الصغير المتواجد بغرفة النوم الرئيسة يطل على شقة شريف، وتحديداً المطبخ -مكان الجريمة-، كما عُثر على قطرات دماء على مدخل شباك المطبخ من الخارج، ولكوْن الشقة بالدور الأول، وباتباع آثار الدماء من الخارج، استطاع فريق البحث الجنائي المتواجد مع فريق المباحث الوصول للمواسير الموجودة بعقار مسرح الجريمة.

علق الرائد كريم وهو يحادث نفسه:

- كدا الصورة وضحت، القاتل عارف إن دي شقة مهجورة، فتحها و أخدها؛ مكان مناسب يراقب منه الأربعة مع بعض، لما قتل علي هرب على السطح ونزل منه على هنا و هو مجروح و.... .

صمت كمن أضاءت في رأسه تفصيلة غفل عنها، فترددت في أذنه "السكين عليه دم القاتل والمقتول". طلب من الطب الشرعي مقارنة الدماء المعثور عليها بالموجودة على السكين، كما طالب البحث الجنائي بتفريغ الكاميرات لما قبل مقتل علي بأسبوع، ومعرفة الداخل والخارج من العقار، ومحاولة استطلاع الكاميرات الموجودة في مداخل الحي ومخارجه.

على الجانب الآخر كان محمد يستجوب كافة موظفي الشركة، ويراجع تفريغ الكاميرات بها؛ لعله يعثر على شيء يثير الانتباه، لكنه وجد أكثر مما طلب.

موظف بالشركة لا أوراق رسمية له، مجرد طلب تقديم وظيفة يصحبها صورة بطاقة غير واضحة، لشاب يعمل تحت التدريب منذ شهرين، ولم يأتِ منذ عشر أيام -قبل مقتل علي بخمسة أيام-، لم يهتم أحد بالسؤال عنه لكونه تحت التدريب وخاصةً أنه ترك العمل بعد خلاف مع مديره لم يعلم أحد سببه، وظنوا أنه وجد عملًا آخرًا، كما يحدث مع حديثي التخرج الباحثين عن الرزق قبل الخبرة.

ببحث صغير عنه اتضح أن العنوان وصورة البطاقة المتوفريْن عنه لا يتصلان بالواقع بصلة. فهي تحمل اسم معروف عبالله معروف والرقم القومي مسجل في قاعدة بيانات السجل المدني بأسم معاذ مصطفى جوهر، تأكد الملازم أيوب أن هذا الشخص له علاقة بجريمة القتل، فعمل الملازم محمد خلال اليوم بأكمله للعثور على صورة واضحة له من خلال كاميرات المراقبة، والتي يتضح فيها أنه حاول إخفاء نفسه عنها قدر الإمكان، لكن ها هو أمامهم بهيئته الكاملة في مقطع لا يتعدى الثلاث ثوان. أخذ الملازم محمد الصورة وتوجه للرائد كريم بمكتبه؛ فإن غابت شمس اليوم فإن شمس الحقيقة بدأت في الشروق بينهم.

صُدم الرائد كريم عند مشاهدته صورة الموظف، هو يماثل طول وهيئة ذلك المتخفي، صاح فجأة قائلًا:

- بدأت تتحل، علياء!

طلب الرائد كريم نسخة من الصورة، وطلب من الملازم محمد استخدام البحث الجنائي لمعرفة صاحبها، ثم توجّه للمستشفى مرةً أخرى. وجد طبيب علياء أمامه، فأخبره أنه سيدخل ليسألها سؤالًا واحدًا فقط، لكن الطبيب علق:

- هي رافضة الكلام وحالتها لسه متحسنتش، صدقني مش هتفيدك بحاجة.

لكن الرائد كريم قال:

- أنا عارف شغلي، وماتخفش مش هضغط عليها.

دخل الغرفة، وجدها كما تركها متجمدة النظرة والجسد، فتح هاتفه وأظهر الصورة أمامها وسأل:

- تعرفيه؟

صمتت وكأنها لم تسمعه، فأعاد السؤال بصوت أعلى قليلًا موجّهًا الهاتف أمامها بوضوح؛ فصرخت:

- الحيوان اللي هدد محمود بصورنا، كان عاوز فلوس وأخدها لكن جالي.

كانت تلهث ولكنها أكملت:

- هددني ودفعتله كتير لكن هو طماع، ولمّا قولت لمحمود قالي متدفعيش حاجة وأنا هتصرف.

ثم أكملت صارخة:

- هو السبب، هو اللي دمّر حياتي، محمود السبب، وأنا اللي قتلته.

وما إن دخلت في حالة الهياج مرةً أخرى حتى خرج كريم من الغرفة موجهًا الشكر للطبيب الذي دخل للتعامل مع علياء وتهدئتها.

(١٣)

مهما حاولت توجد

(ثغرة)..

عرض الرائد كريم الصورة على شريف، لكنه لم يتعرف عليها، كما عرضها على الزوجات الثلاث، ولكن لم تستطع إحداهن التعرف عليه.

وبمجرد دخول الرائد كريم مكتبه وجد الملازم محمد يضع أمامه في فخر ملف سامح سيد عبد الجواد الحسيني، صُدم كريم من الاسم، ونظر لمحمد، الذي أشار له برأسه في إيجاب قائلًا:

- آه، جده يبقى أخ لجد الضحايا كلهم، من مواليد أسيوط، عمره ٣٩ سنة، مش متجوز ولا متعلم، جه القاهرة يدور على ابن عم أبوه اللي أخد الفلوس بتاعت العيلة من تجارة السلاح من تلاتين سنة واختفى.

وقبل أن يكمل قال كريم:

- وصل عرف إنه مات ومخلف ولدين، واحد عنده علي وهو اللي حرك الفلوس وكبرها وخلاها شرعي، وأخوه مات وسايب ٣ رجالة شغّالين عند علي.

رد محمد مبتسمًا:

- بالظبط سعادتك، وعلشان الفيلم يكمل دخل الشركة كموظف تحت التدريب بورق مزور، عرِفهم و عرف خط سيرهم و... .

قاطعه كريم:

- وعرف علاقة علياء بمحمود، وهدّدهم و سحب منهم فلوس مقابل سكوته.

فوجئ محمد مما سمعه، فتح عينيه وفمه في صدمة؛ فأكمل كريم كلامه:

- فمحمود بعد ما دفع هو وعلياء لقوا إنه مش بيسكت، وطمعه بيزيد، فقالوله مفيش فلوس، راح لعلي يفضحهم عنده، لكن علي مصدقوش، فقتل علي في الأسانسير.

صمت كمن يزن ما قاله فلم يعجبه، فأكمل:

- لا، هو راح لعلي دا الأكيد، بس إيه اللي حصل بقى؟ الجريمة كان فيها سبق إصرار وترصد، فيها تخطيط لكل حاجة، عرف يختار مكان مناسب -الشقة- اللي يهرب ليها ويراقب منها وينفذ فيها.

كان الملازم محمد يسمع كل شيء باهتمام وهو يهز رأسه موافقًا الرأي مع الرائد كريم، وما إن سكت الرائد كريم حتى قال محمد:

- أنا اديت الصورة لكل مديريات وكماين مصر، يعني مسألة وقت ويكون هنا.

- تمام، بس لازم نعرف الانسيال بتاع علياء كان على السلم ليه؟

في صباح اليوم الثالث لذلك الحديث وصلت إشارة لقسم القاهرة الجديدة، تفيد أنه تم القبض على سامح بأوراق مزورة أخرى وهو في طريقه إلى ليبيا على حدود السلوم، وأنه قيد الترحيل إلى القاهرة، وأن علياء بدأت تستعيد وعيها مرة أخرى؛ فذهب إليها تلك المرة الملازم محمد وسألها:

-أنتِ شوفتي القاتل؟

لم تتمالك نفسها، وقالت باكية:

- كان هو اللي في الصورة، نزلت علشان أقابل علي وأخده برا البيت لمّا جه، علشان أحاول أمسح من دماغه علاقتي بمحمود، وإنها علاقة قديمة وخلصت...

حاولت استكمال كلامها بأنفاسها المتقطعة:

- علي قفل معايا وهو داخل المدخل، كان متعصب وأنا مكنتش عاوزة حد من ولاد عمه يسمعه وهو بيتكلم في الموضوع، طلعت بحاول أطلب الأسانسير مش راضي يطلع، نزلت على السلم قابلت القاتل طالع بيجري والسكينة في إيده في الدور الأول، جري من جنبي والسكينة عورتني وقطعت الأنسيال من غير ما أحس، نزلت لقيت علي بيطلع في الروح، اتجمدت ولما روحه راحت خوفت أتفضح أو يتقال إن أنا اللي قتلته، طلعت الشقة تاني ونزلت بعدها بساعة و... و... .

- والباقي هو الفيلم اللي عارفينه، تمام.

تركها وعاد للرائد كريم يُسمِعه ما قالته علياء، ووسط هدوء الغرفة الذي لا يوجد به سوى صوت علياء خارج من هاتف محمد إذا بالباب يدق، ليدخل أحد أفراد الأمن وبيده سامح، دخل وهو يسمع اعترافات علياء ليضحك ساخراً قائلًا بلهجة قاهرية تداخلت معها اللهجة الصعيدية:

- مرة خاينة، تخون جوزها مع ابن عمه، تستاهل الإعدام.

وأكمل ضحكته الساخرة مرة أخرى، نظر له كريم في حدة قطعت عنه ضحكته؛ ووقف كصنم ثابت يسمع سؤاله:

- هتحكي ولا هتتعبنا وتتعب نفسك؟

- أنا جيت آخذ حقي منهم.

- وهما يعرفوك ولا يعرفوا حقك؟

- علي عارف كل حاجة، وعارفني، وكان شغال من وراهم زي أبوه اللي سرق حقنا وهرب.

- ولما علي كان شغال في السلاح مدّاكش فلوسك ليه؟ وإزاي اشتغلت معاهم في الشركة وهو معرفكش؟

- علي بيه؟! هاهاها.. مبيتحركش من مكتبه اللي في العالي، وحتى دخوله وخروجه من باب مخصوص، واللي ماسكين الموظفين والعمال سامي وشريف ومحمود، ومحدش منهم يعرفني ولا يعرفوا إن لهم قرايب من أصله.

- هددت محمود وعلياء وأخدت منهم فلوس، مكنتش كفاية ولا إيه؟

- دول ملاليم وأنا حقي ملايين.

- إيه اللي حصل يوم قتلك لعلي؟

- كنت مستنيه، كنت عارف إنه شاف الصور اللي خلّيت الواد يوسف عبقري النت يبعتهاله، تمام زي الرسالة اللي جت لسعادتك كدا.

ابتسم كريم لذكاء سامح وهو يكمل حديثه:

- قولت هييجي متعصب ولازم هيقتلهم؛ أصله صعيدي مهما حصل، الدم مبيبردش، لكن لقيته مش عصبي زي ما تخيلته، قولت حلال قتله، أصله مش راجل، نزلت من الشقة وهو بيركن العربية وسمعته بيكلمها في التليفون، بيقولها إنه هيكمل كلامه لما يطلع، استنيته يدخل الأسانسير لقاني في ضهره، أصلي دخلت من الباب الوراني، محدش بيقفله ولا بيفتكره، وهما هُبل سايبينه مفتوح طوالي، بصّلي وملحقش ينطق؛ كنت غارز السكينة في قلبه و كبده، وطلعت أجري أنط من السطح، لقيت علياء في وشي؛ الظاهر السكينة عورتها في إيديها، سيبتها متنحة وطلعت السطوح، وأنا بدفن السكينة صباعي هو راخر اتعور، والسكينة بقى عليها دم مشكل.

كان الرائد كريم والملازم محمد يستمعان له بكم كبير من الاهتمام والاشمئزاز معاً، فبرغم ذكاءه وتركيزه في التفاصيل، إلا أنه قاتل قذر، قتل أقاربه، وفعل الكثير من الأفعال المنحطة.

أكمل سامح اعترافه وهو يرى في أعينهما الأسئلة دون نطقها:

- على فكرة يا بهوات أنا عرضت على سامي فلوس، مقابل إنه يخليني أشتري أسهم في شركة الحسيني في البورصة، بس طلع غبي، قال إيه دي

شركة عمه اللي رباه، مفكر نفسه هياخد منها جنيه طول ما علي فيها، بس لما لقيتهم كدا قولت سهلة نخلص منهم كلهم، وكدا كدا الحريم معتورثش حاجة، وبالقانون أنا اللي باقي من العيلة دي، ولو زنقت نبقى نرمي للحريم قرشين وخلاص، لكن إلا بالحق يا بيه أنتو وصلتولي كيييف؟

ضحك الرائد كريم وعلق ساخرًا:

- تبقى تعرف في المحكمة.

تم تحويل القضية للنيابة ثم للمحكمة، وحكم على سامح وعلياء بالمؤبد، وتم إعلام شريف وسامي بالوصية، ولم تتغير ملامح الحزن عليهما طوال الستة أشهر التالية لليلة الجريمة، كما تفاجأت أميرة طليقة محمود من كونها مذكورة بالوصية ورفضت أخذ أي شيء منها.

تولى الأخوين إدارة الشركة، وقاما ببيع العقار ونقل كل منهما في بيت مستقل في مدينة الشيخ زايد، وكأنهما قررا الذهاب للجانب الآخر من البلد؛ لنسيان ما مر بهما، وإن كان قلبيهما سيظلا حاملين الحزن والخزي للأبد.

الفصل العاشر

(والأخير)

شعرت روح بسعادة لم تشعر بها من قبل، تشبه بعض الشيء الشعور التي عاشتها بعد إنجابها عمر وسلمى.

ها هي تمسك بين يديها أول عمل يحمل اسمها مطبوعًا..

(جريمة حي الأشجار)

(للكاتبة روح)

إنها تحمل أول نسخة طُبعت، كان ذلك هو الموعد الذي قال سيف عنه ليلة أمس، كان اللقاء الأول مع طفلها الثالث.

أُعجب سيف وصديقه صاحب دار النشر بالقصة القصيرة، واتفقا على طباعتها وجعلها مفاجأة لروح، وقاموا بالتنسيق معاً لينتهيا من الغلاف والطباعة وكافة الأمور الخاصة بالنشر، ولم تتوقف المفاجأة عند هذا الحد، بل قال سيف:

- القصة هتتسجل صوتي، وهتبقى متاحة على مواقع القصص المسموعة، وهتنزل المعرض اللي جاي.

لم تتوقف الدموع المنهمرة من عيني روح، ولم يتوقف سيف عن احتضانها، وقالت بصوت هامس:

-شكرًا.

وكانت تشير الي اسمها المكتوب، لقد اختار سيف عدم كتابة اسم قد قررت روح نسيانه، أراد أن تفرح بنفسها، ولا يعكر صفو سعادتها ذلك الاسم الملاصق لاسمها، بل اكتفى باسم روح فقط.

- حقك تفرحي من غير ما حاجة توجعك.

ضمته وضمت قصتها، وبعد أن أنهت المقابلة مع صاحب دار النشر واحتفل الثلاثة معاً، ذهب سيف و روح لاستكمال الاحتفال مع طفليهما، وفي نهاية اليوم قالت روح لسيف وهما محتضنان بعضهما فراشهما

- عاوزة أقول حاجة بس هنرجع نلعب تاني and we don't We listen judge".

- تاااااني؟

- آه.

- مش كنا خلصنا منها.

- آخر مرة بقى، علشان خاطري.

- النهاردة يومك؛ يعني حتى من غير لعب قولي، وأنا مش هـjuge عليكِ.

- شكرًا إنك حياتي.

- ما تقولي!

- ما قولت.

- هو دا؟! وبعدين مش كان اسمها شكرًا إنك في حياتي؟

- لا، أنت حياتي نفسها، ومن غيرك ومن غير دعمك كنت .....

- قولتهالك مرة بس أنتِ بتنسِي "من يوم جوازنا وأنا قفلت حياتي عليكِ" لو مش هكون في ضهرك يبقى بلاها الحياة دي كلها.

احتضنته بشدة ونامت على كلامه؛ من شدة سعادتها وإرهاقها خلال الفترة الماضية، وظل هو يلاعب شعرها، ويراقب ابتسامتها وهي نائمة، فقد كانت تشبه الأطفال، شعر أن الروح عادت للروح مرةً أخرى.

(تمت)

دار
أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني

(في القلب غصة اعتادتها، تؤلم في كل مرة كأنها أول مره تزوره، تظل عالقة في العقل تأبى أن تفوته، كمن يريد تذكيرك بأمر حاولت محوه و نسيانه، تبلغك في كل مرة أنها هنا معك لا مجال لك لتتجنبها، تأتي كل مرة بوجعها كأنها الأولى ولا تدرك متى لها ستكون الأخيرة).

الكاتبة عائشه عمارة ، من مواليد القاهرة ١٩٩٤ حاصلة على بكالوريوس نظم معلومات اداريه، حصلت على جوائز مختلفة في مسابقات النقد الفني، شاركت في المجموعة القصصية لحن